سلسلة
تقريب لغة القرآن الكريم
(١)

شواهد وفوائد
والقرآن الكريم شاهد

الدكتور
حَمْزَة حَمْزَة أبُو النَّصْر
مدرس لغة كلية التربية جامعة المنصورة (بمصر)
أستاذ مساعد بكُلية التربية جامعة عجمان (بالإمارات)

مكتبة الإيمان - المنصورة
ت/ ٢٢٥٧٨٨٢

الطبعة الأولى
١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م

مكتبة الإيمان - المنصورة
ت/ ٢٢٥٧٨٨٢

الإهـــداء

إلى كل الذين يعشقون لغة القرآن الكريم ويشاركونني هم السعى في حمايتها

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله الذى بنعمته تتم الصالحات ، والصلاة والسلام على النبى الأمى المرسل بالآيات البينات ، وعلى آله وصحبه ، ومن تبعه بإحسان ، واعتصم بالوحى الذى أوحى إليه ، واهتدى بما آتاه الله من كتاب وحكمة

أما بعد ...

فلا يزال تقريب لغة القرآن الكريم إلى الأجيال الحاضرة والمستقبلة مطلبا هاما شديد الإلحاح ، لأن هذه اللغة العربية الشريفة لا تزال ـ وستبقى ـ مستهدفة فى ذاتها يراد ـ لاحقَّق الله ذلك ولا كان ـ طمسها والتعفية عليها ، وقتلها ، وتجهيل أبنائها بها.

واللغة العربية الشريفة ـ وإن كانت مستهدفة فى ذاتها ـ إلا أنه من وراء ذلك هدف أخبث ، هو إبعاد أبناء الأمة العربية المسلمة عن كتاب ربها ، فكل جهل بلفظة فى العربية هو خطوة على طريق الغربة والابتعاد عن القرآن وكل عجمة تصيب لسان أبناء العربية فى كلمة واحدة ، هى تحقيق لجزئية من أهداف أعداء دين الله الإسلام ، وأعداء لغته الشريفة .

لذلك كان من أهم ما أتطلع إليه أن أقرب هذه اللغة الشريفة من قلوب وعقول ولسان أبناء العروبة والإسلام .

ويأتى العمل الذى أقدمه فى هذه الصفحات خطوة على درب طويل آمل أن أخطو فيه خطوات أخرى عديدة ، وأن يأخذ الله بقلوب العلماء من أبناء العربية الشريفة إلى خدمة هذا الهدف فتتوالى مؤلفاتهم فى هذا السبيل .

ويجمع هذا المؤلف بين تقديم الفائدة اللغوية ، والاستدلال الهيِّن عليها من شعر العرب ومأثوراتهم من ربط نهج العرب فى كلامهم بأصح وأفصح خطاب نطق به لسان عربى هو القرآن الكريم ، حتى لا تبدو المسائل المعروضة وكأنها من كتب النحو الخالصة ، أو كتب التفسير المتخصصة ، وإنما هى مزيج مقرب مُيسَّر من الأمرين معا أرجو به تحقيق فائدة مزدوجة : بيان نهج العرب فى كلامها ، وشرح ما

قد يكون بعيدا عن استجلاء مقصوده من آيات القرآن الكريم .

وإنى أسأل الله تعالى أن يتقبل عملى هذا ، وأن يغفر لى به ويرحمنى ، وأن يجعله أحد الثلاثة التى إذ متُّ لم ينقطع عملى بها ، وأن يغفر لى تقصيرى وجهلى، وما يكون فى عملى هذا من خطأ وقلة علم ، إنه وحده الهادى إلى سواء السبيل.

وكتبه راجي عفو ربه

الدكتور / حمزة بن حمزة أبو النصر

المحلة الكبرى / مصر

الأربعاء ٣١/٧/٢٠٠٢

من القضايا ـ أو المباحث ـ النحوية والصرفية ما يعرف بأن العرب : « قد تخرج المصادر مبهمة على أسماء مختلفة . كأن يقولوا: مثلا أكرمت فلانًا كرامة » ، والأصل فى بناء مصدر الفعل مما هو على وزن « أفعلت » أن يكون على وزن «إفعالا» فيقال: أكرمتُ فلانا إكراما » .

لكن الشّاعر القَطَاميّ يبنى المصدر على خلاف الأصل (أى على ما سمى باسم المصدر فيقول :

أَكُفْرًا بَعْدَ رَدِّ المَوْتِ عَنّى وَبَعْدَ عَطَائكَ المئَةَ الرِّتَاعَا؟ (١) .

والشاهد فى هذا البيت هنا هو قوله « عَطَائِك » وهو اسم مصدر بدلاً من قوله « إعطائك » وهو المصدر مبنيا من الفعل « أعْطى » على ما هو القياس .

ومنه قول الآخر :

وَإنْ كَانَ هَذَا البُخْلُ مِنْكَ سَجيَّةً لَقد كُنْتَ فى طَوْلِى رَجَاءَكَ أشعبا(٢) .

والشاهد فى هذا البيت هو فى قوله (طَوْلِى) وهو اسم مصدر بديل عن القياس الذى هو « إطالتى » لأنه من « أطالَ (إطالة)

ومن الشواهد المشهورة فى ذلك قول الحارث بن خالد المخزومى:

أظليمُ إنَّ مُصَابَكُم رَجُلا أَهْدَىٰ السَّلامَ تَحيَّةً ظُلْم

والشاهد فى هذا البيت هو قوله « مصاب » وهو اسم مصدر ، لأن بناء مصدر (أفعل) الذى عليه الفعل (أصاب) هو (إصابة) وكان القياس أن يقول: «إن إصابتكم» .

والشواهد الثلاثة السابقة هى مما أورد الطبرى فى تفسيره عند مناقشت لفظة « بسم» من البسملة .

---

(١) البيت فى ديوان القطامى ، وهو من قوله لزمر بن الحارث ، وكان قد أسره فى حرب ، ثم مَنَّ عليه فاطلقه وأعطاه مئة من الإبل ، ورد عليه ما كان غنمه من ماله ، ويقول له القطامى منكرًا : أأكفر بما أوليتى من الفضل ، وأعطيتنى ما أعطيت ، والشاهد فى البيت كلمة (عطاء) وهى فى الأصل (إعطاء) فهى (أى عطاء) اسم مصدر ، لذا عملت عمل المصدر ، ونصبت كلمة (مئة) . والإبل الرتاع : هى التى ترتع فى مرعى خصيب تذهب فيه وتجىء .

(٢) هذا البيت لم أقف على صاحبه ، وأشعب المذكور فيه هو المضروب به المثل فى الطمع ، والشاهد فى البيت هو فى قوله: (طولى) بمعنى (إطالتى) على ما كان يجب عليه القياس لأن مصدر : إطال) .

فقد ذهب « أبو جعفر » إلى أن « الباء من « بسم الله » مقتضية فعلا يكون جالبًا لها ، ولا فعل معها ظاهرٌ ، فأغنت سامع القائل « بسم الله » معرفته بمراد قائله » عن إظهار قائل ذلك مراده قولا ، . . . فقل : اذكر إذا قال : « بسم الله الرحمن الرحيم » ثم افتتح تاليا سورة ، أن إتباعه « بسم الله الرحمن الرحيم » تلاوة سورة ، ينبئ عن معنى قوله « بسم الله الرحمن الرحيم » ، ومفهوم به أنه مريد بذلك : اقرأ بسم الله الرحمن الرحيم ، وكذلك قوله « بسم الله » عند نهوضه للقيام أو عند تعوذه وسائر أفعاله ، ينبئ عن مراده بقوله « بسم الله » ، وأنه أراد بقيله « بسم الله » أقوم باسم الله ، وأقعد باسم الله ، وكذلك سائر الأفعال » (١) .

---

(١) هذا البيت من شعر الحارث بن خالد المخزومى ، و « ظليم » المذكورة فيه (وقد جعلت مرخمة فضبط حرف الميم بالضم - فى رواية - على لغة من لا ينتظر ، وبالفتح - فى رواية - على لغة من ينتظر ، وهى أم عمران ، زوجة عبد الله بن مطيع ، وكان الحارث بن خالد المخزومى يشبّب بها ، فلما مات زوجها تزوجها

= وكلمة « مصاب » تُعْرَفُ فى أبواب الصرف بالمصدر الميمى (وهو ما بدئ بميم زائدة لغير المفاعلة ، كالمضرب والمقتل) ويسمى أحيانا اسم مصدر تجوزا)

= وكلمة « ظلوم » فى البيت ، وهى المنادى بهمزة النداء ، أصلها مبالغة من « طاعة » وقد تكون باقية على أصل معناها (وهو الوصف) ، وقد تكون منقولة مستعملة اسما لامرأة (وقد اختار ابن هشام ذلك فى شذور الذهب »

= وفى البيت قصة : ذلك أن أهل الأدب رووا أن أبا عثمان المازنى كان فقيرا محتاط ، فجاءه رجل ذمى ذات يوم ، وعرض عليه مائة دينار على أن يقرئه كتاب سيبويه فى النحو ، فأبى أبو عثمان ذلك مع شدة حاجته ، فلما علم تلميذه « المبّرد » برفضة .

= المال مع شدة حاجته ، عاتبه على ذلك ، فأجاب أبو عثمان بأن فى كتاب سيبويه ثلثمائة وكذا وكذا آية من القرآن ، وأنه لا يجمل به أن يمكن الذمى من قراءتها . وحدث أن غنت جارية فى مجلس الخليفة العباسى « الواثق » بهذا البيت ونصبت كلمة (رجلاً) ، وكان بالمجلس أبو يعقوب ابن السكيت (ويقال بل هو اليزيدى) فانكر على الجارية نصبها كلمة (رجلاً) وقال : إنما هو بالرفع (أى رَجَلٌ) وأصرت الجارية على النصب ، وقالت : إننى هكذا تلقيته على شيخى أبى عثمان المازنى ، فأمر الواثق بإحضار المازنى من البصرة إلى مجلسه ، فلما حضر أقر الجارية على ما قالت ، وفسَّر نصب كلمة (رجلا) بأن « المصاب » مصدر بمعنى « الإصابة ، وأن (رجلاً) مفعول ، فاستحسن الواثق تفسيره ، وأجازه بألف دينار ، فلما عاد إلى البصرة قال « للمبرد » : تركنا مائة لله ، فعوضنا الله بها ألفا .

وقد أورد بعضهم فى توجيه رأى اليزيدى كلاما عَليه حمل رأى اليزيدى عليه وهو أن يكون لفظ (مصاب) اسم مفعول من الفعل (أصاب) وهو اسم إنَّ ، وضمير المخاطبين (كُمْ) مضاف إليه (من إضافة الوصف إلى مرفوعه) ويكون لفظ (رجل) بالرفع خبر إنّ ، وجملة « أهدى السلام تحية » فى محل =

وكان الطبرى ـ رحمه الله ـ بما ذكر يرد على من قد يعترض على ما ذكره بقوله السابق فى تفسير باسم ، بقوله المعترض : « فكيف يقول : « بسم الله وقد علمت أن الاسم اسم ، وأن التسمية مصدر من قولك سُمِّيتُ ؟

فأجَاب الطبرى : إن العرب قد تخرج المصادر المبهمة على أسماء مختلفة كقولهم: أكرمت فلانا كرامة ، وإنما بناء مصدر « أمغلت » إذا أخرج على مغله ـ «الإفعَالُ » . وكقولهم : أهنت فلانا هوانا ، وكلمته كلاما [١] .

* * *

ـ (٢) ـ

قد لا يكون فيما أخذ عن العرب (سماعا) من لغتهم أصل لبناء بعض الأسماء فى (فَعَل يفعل) يُحفظ وينقل عنهم

لكن الاستدلال يمكن الباحث من إجازة أو استجازة ذلك ـ أى مجىء الاسم ـ من (فعل يفعل) ، إذا لم يكن هناك تمانع بين العرب فى اعتماد ذلك وتصحيحه وتداوله ، فالعرب لا تمانع فى الحكم لصحة قول أحدهم يصف رجلا بالعبادة ، وطلب ما لدى الله من الخير ، بقوله : « تأله فلان » ومن ذلك قول رؤبة العجاج[٢].

لله درّ الغانيات المُدَّه سَجَّنْ واسْتَرجَعْنَ مِنْ تَألُّهِى

والشاهد فى البيت هو المصدر « تَألُّهى ».

« والتأله » مصدر زنته « التفعل » من « أَلَهَ مَألهُ » ، والذى تجيزه العرب من معنى « أله » أنه عَبَد الله » ، ويكون بيت رؤبة شَاهداً على جواز صوغ المصدر

= رفع صفة للفظ (رجل) بينما يكون لفظ (ظلم) فى آخر البيت خبرا لمبتدأ محذوف ، ويكون تقدير الكلام : إن الذى أصبتوه بتجنيكم عليه رجلٌ موصوف بأنه أهدى السلام إليكم وهذا ظلم .

= ويعقب صاحب التوجيه بقوله : « ولا شك أن فيه تكلفا ، فضلا عن أن يكون متعينا كما كان يذهب إليه اليزيدى على ما يفهم من حاله فى تسبئه ، وتخطئته للجارية المغنية .

(١) انظر محمد بن جرير الطبرى ، جامع البيان عن تأويل القرآن ، القاهرة : دار المعارف ، تحقيق ، محمود محمد شاكر وأخيه ، الطبعة الثانية ، سلسلة تراث الإسلام ، جـ١ ، ص ١١٤ وما بعدها .

(٢) البيت فى ديوان رؤبة بن العجاج : ١٥ . والمدّه : جمع ماده ، ومَدَهَ فلانا : وصف هيئة وجماله وأثنى عليه ، واسترجعن » : قلن : إنا لله وإنا إليه راجعون ، وذلك تحسرا على الشاعر ، وقد رأينه قد تنسك، وهجر الدنيا ، بعدما كانت عليه من جمال وشباب وصبوة .

« تَألُّهُ » من « أَلَهَ يأله » بناءً من « فَعَلَ يَفْعَلُ » ، فإذا صيغ المصدرُ من « أَلَهَ » بمعنى « عبد » كان « إلاهة » وإذا صيغ من « تَأَلَّهَ » بمعنى تعبّد وتَنسكَ كان « تألها » ويكون جائزا لمن يقال : الله ـ جل ذكره ـ أَلَهَ العبد (أى تعبَّده) والعبدُ « أَلَهَ » الله أى «عَبَدَهُ »

ويكون صحيحا قول القائل « الله » من كلام العرب أصله « الإله » أسقطت الهمزة (التى هى فاء الاسم) فالتقت اللام (التى هى عين الاسم) واللام الزائدة التى دخلت مع الألف (فى أل) الداخلة على كلمة (إله) ، فأدغمت اللام الزائدة فى اللام التى عين الاسم ، فصارتا لاما واحدة مشدّدة ، وصار الاسم « الله » .

والعرب تفعل ذلك فى كلامهما ، كما قال الشاعر :

وتَرْمينَني بالطَّرْفِ ، أَيْ أَنْتَ مُذْنبٌ وتَقْلينَنى ، لكنّ إيَّاك لاَ أَقْلى (١) .

والشاهد فى البيت هو قوله : « لكنّ إياك لا أَقلي » إذ أصله لَكنْ أنا إياك لا أقلى) فحذف الهمزة من (أنا) فالتقت نون (أنا) ونون (لكنًّ) وهى ساكنة ، فأدغمت فى نون (أنا) فصارتا نونًا مشددة ، وصارت الكلمة (لكنّ) .

وقد جاء فى القرآن الكريم مثال لذلك فى قوله تعالى ﴿ **لكنّ هو الله ربى**﴾ ، إذ أصله (لكن أنا هو الله ربى) فجرى فيها ما سبق ذكره من إدغام نون (لكن) فى نون (أنا) فجاءت كما فى المصحف الشريف .

كثيرًا ما تبنى العرب الأسماءَ من « فَعِلَ يَفْعَل» على فَعْلان والأصل فى بناء الأسماء منها أن تكون على « فاعل» .

تقول العربُ من « غَضِبَ » غضبان ، ومن نَام : نومان ، ومن « سَهِرَ » : سَهّرَان ، وأصل البناء للأسماء من تلك الأفعال أن تكون على التوالى : غاضب ، ونائم ، وساهر .

ومن شأنهم . إذا كانت عين (فعل) مفتوحةً أو مكسورةً ، وكان فيها مدح أو ذم أن يحملوا أبنية الأسماء فيها على (فعيل) كما قالوا من (عَلِمَ) : عالم وعليم ، ومن (قَدَرَ) قَادرٌ وقدير ، (وذلك فى المدح) وقالوا من (بئِسَ) بائس وبئيس ، و(وذلك

---

(١) هذا البيت ذكره ابن الأنبارى فى « الأضداد » (١٦٣) ، وذكره البغدادى فى (خزانة الأدب) ٤ : ٤٩٠ دون ذكر اسم قائله مع شهرة البيت وتداوله فى كتب النحو .

في الذم) .

وعلى الأول ـ أى بناء الاسم (فَعِل يَفْعَل) على (فَعْلان) جاء قول الشاعر :

أَلاَ ضَرَبَتْ تلكَ الفَتَاةُ هَجِينَهَا ... أَلاَ قَضَبَ الرحمن رَبِّى يَمِينَهَا (١) .

فجاء لفظ « الرحمن » فى البيت (وهو وزن فَعْلاَن) من الفعْل (رَحِمَ يَرْحم) وهو وزن (فَعِلَ يَفْعَل) .

وقال الآخر :

عَجِلْتُمْ عَلَيْنَا عَجْلتينا عليكُمُ ... وما يشاء الرحمنُ يَعْقدْ ويُطْلق (٢) .

وقد جاء فى القرآن الكريم اسم الله تعالى « الرحمن » وهو من (رَحِمَ يَرْحَمُ) وزان (فَعِلَ يَفْعَلُ) فجاءَ على وزن (فعلان) .

كما جاء فى القرآن الكريم اسمه وصفته سبحانه « الرحيم » وهو من (رَحِمَ يَرْحَم) وزان (فَعِلَ يَفْعَلُ) فجاء على وزن (فَعِيل) ، وذلك لما فى الاسمين الجليلين من المدح والثناء المستحق له سبحانه .

ولابن جرير الطبرى ـ رحمه الله ـ كلام بديع فى وجه ترتيب الأسماء الحسنى فى البسملة على هذا النحو : « بسم الله الرحمن الرحيم » بتقديم اسم الجلالة «الله» ثم إتباعه باسمه تعالى « الرحمن » ثم باسمه سبحانه « الرحيم » فليراجع فى تفسيره .

* * * *

ـ(٤)ـ

لا تحمل الكلمة المفردة فى لغة العرب ـ إذا هى ذكرت منفردة مقطوعة عن أى سياق ـ لا تحمل دلالة محددة أو معنى مقصودًا ، وإنما تكتسب الكلمة دلالتها وتحمل معناها من السياق الذى ترد فيه .

فالكلمة « ضَرَبَ » لو وقعت على السمع ، لتوارد على خاطر السامع لها مباشرة

---

(١) استشهد ابن سيده بهذا البيت فى المخصص ١٧ : ١٥٢ ، ولم يذكر قائله وقد زعم محمد محمود التركزى الشنقيطى أن هذا البيت مصنوع ، وأنه من تلفيق من يحبون إيجاد الشواهد لدواعيهم المزعومة ، ورد زعمه محمود محمد شاكر ، ونفى أن يكون بالبيت ركاكة صياغة أو صنعة .

(٢) البيت لسلامة بن جندل بن عبد الرحمن (أو ابن عبد) السعدى ، وهو فى ديوانه : ١٩ .

المعنى المألوف وهو إيقاع الأثر (وربما قلنا: الأذى الألم) من إصابة شيء بشيء آخر، كضرب رقبة بسيف ، أو رأس بحجر ، أو جلد بعصا أو سوط ، وغير ذلك مما يشبهه.

لكن هذه الكلمة تكتسب دلالات مختلفات من ورودها فى سياقات مختلفة فنحن نقول :

ضرب فى الأرض سعيا على عيالـه بمعنى تنقل وسافر

ضرب مثلا على صدق ما يقـــول بمعنى (أورد) أو (حكى)

ضرب عبد الملك بن مروان الدنانير بمعنى سكها (أوصكها)

ويصبح الاسم - أو المصدر صريحا أو مؤولا - معها ، بحسب السياق الذى يرد فيه حاملا لدلالات متنوعة كذلك

فنحن نقول :

كلامك ليس من الضرب الذى يصدق أى النوع أو الشبه

وهو « الضرب » أجدر به من الصفح عنه أى بالإيلام والإيذاء

« والضرب » عن الزلة خير الصديق خير من المؤاخذة أى الإعراض

وهكذا الشأن فى كل مفردة عربية : - لا تحمل فى ذاتها دلالة محددة إلا إذا أكسبها السياق الذى ترد فيه تلك الدلالة

فى ضوء ما سبق نتأمل الأبيات الآتية

= قال لبيد بن ربيعة

وأهلكنَ يوما ربَّ كِنْدَةَ وَابْنَهُ

وَرَبَّ مَعَدٍّ ، بَيْنَ خَبْتٍ وَعَرْعَرِ (١) .

وموضع التأمل هو كلمة (رَبّ) فى البيت ، فهى تعنى كلمة سيّد ، بدلالة حديث لبيد عن القبائل وسادتها وأبنائهم ، وموضع القتل

---

(١) البيت فى ديوان لبيد ١٥ / ٣٢ ، وقد ذكر شارح الديوان أن سيد كندة هو حُجْر أبو امرئ القيس ، وأن ربَّ معدّ هو : حذيفة بن بدر ، وشكك فى ذلك محمود شاكر استنادا إلى المعروف من قتل حذيفة بموضع يسمى « الهباءة » بينما لبيد يتحدث عن خبت وعرعر وهما موضعان مختلفان .

= وقال النابغة الذبيانى :

تَخبُّ إلى النعمان حَتَّ تَنَالَهُ

فدًى لكَ من ربٍّ طَرِيفى وتَالدى (١) .

والنعمان هنا هو المصلح لأمور أتباعه ، فكلمة (ربّ) تعنى المصلح للشىء.

= وقال الفرزدق :

كَانُوا كَسَالئَةٍ حَمْقَاءَ إذْ حَقَنَتْ

سِلاءَهَا فى أديم غير مربوب (٢) .

والتأمل هنا هو لكلمة (غير مربوب) أى غير مصلح

= وتقول العرب : إن فلانا يربّ صنيعته عند فلان ، وهم يعنون أنه يحاول إصلاحها وإدامتها

= وقال علقمة بن عبدة :

فَكُنْتُ امْرَأً أفضَتْ إليكَ رَبَابَتى

وَقَبْلَكَ ربّتْنى ، فَضِعتُ ، رُبُوبُ (٣) .

والتأمل هنا هو للكلمات : « ربابتى » و « ربتنى » و « ربوب »

وهو يقول لممدوحه : ألت امرؤ (أفضت إليك) أى وصلت وصارت إليك ربابتى (العناية بأمرى وإصلاحه) فصرت الذى يرب أمرى ويصلحه ، وذلك بعد أن خرجتُ من ربابة غيرك من الملوك (وسماهم ربوبا : جمع رب) على قصد أنهم كانوا ولاة أمره قبل الممدوح ، لكنهم ضيعوه فلم يرعوا شأنه ولم يصلحوه .

* * *

---

(١) البيت فى ديوان النابغة : ٨٩ ، وذكر صاحب المخصص ٧ : ١٥٤ ، والطريف : هو المال المستحدث ، والتالد : هو القديم العتيق ، يقول : فداك ما أملك من حديثه وقديمه فأنت الرب المصلح لكل أمر

(٢) البيت فى ديوانه الفرزدق بن غالب : ٢٥ ، وسلأ السمن يسلؤه : طبخه وعالجه فأذاب زبده ، السِّلاء (بكسر السين) : السمن ، وحقن السمَن أو الماء فى الوطب : أى حبسه وعبأه فى وعاء ، وربّ الأديم: دهن الوعاء الجلدى بدبس التمر ليصبح متينا طيب الرائحة فإذا لم يفعلوا فسد ورشح من السَمن .

(٣) البيت فى ديوان علقمة : ٢٩ ، والشعر موجه من علقمة فى مدح الحارث بن أبى شمر ملك عسان (وهو الحارث الأعرج المشهور ، ورواه ابن سيده فى المخصص ١٧ : ١٥٤ وقال : « ربوب : مع رب ، أى الملوك الذين كانوا قبلك ضيعوا أمرى ، وقد صارت الآن ربابتى إليك - أى تدبير أمرى وإصلاحه - فهذا رب بمعنى مالك ، كأنه قال : الذين كانوا يملكون أمرى قبلك ضيعوه » ، وقال محمود شاكر : «والربابة : المملكة ، وهى أيضا الميثاق والعهد ، وبها فُسِّر هذا البيت » .

نتأمل تلك المعانى المتعددة للمفردة العربية ، تكتسبها من السياق الذى ترد فيه ثم نتأمل بالإجلال والتعظيم الواجبين لربنا جل جلاله حين نقرأ :

(الحمدُ للّه رَبِّ العالمين)

فنثبتُ لربنا جل جلاله أنه : « السيد الذى لا شبه له ، ولا مِثْل فى سُوَدده والمصلح أمر خلقِه بما أسبغ عليهم من نعمه ، والمالك الذى له الخلق والأمر » (١) .

ونفهم القول القرآنى الكريم فى ضوء ما جاءنا عن ابن عباس رضى الله عنهما من قوله : « (الحمد لله رب العالمين) الحمد لله الذى له الخلق كله : السموات والأرضون ومن فيهن ، وما بينهمن ، مما يُعْلَمُ وَلاُ يعلَمُ (٢) .

* * *

ـ (٥) ـ

من شأن العرب فى كلامها أن تَنْوِى ـ تضمر قصداً أونية ـ فى كلامها ، ثم تَجْرِى الحكم الإعرابْى على أساس ما نوت أو قصدت أو أضمرت . .

ومن أمثلة ذلك : بناء المنادى العلم على الضم من غير ذكر أداة النداء ونصب المنادى المضاف من دون ذكر الأداة كذلك

ومن صور بناء المنادى العلم المفرد على الضم دون ذكر الأداة قول الشاعر :

إِنْ كُنْتَ أَذَنْتَنى بِهَا كَذِباً جَزْءُ، فَلاقَيْتَ مِثْـلَهَا عَجِلا (٣) .

والمشاهد فى كلمة (جَزْء) فهى اسم شخص يخاطبه الشاعر ، وقد بناها على

(!) تفسير الطبرى مرجع سابق جـ١ ، صـ١٤٢ .

(٢) هذا القول لابن عباس ـ رضى الله عنهما جاء فى الحديث الذى أخرجه الطبرى فى تفسيره قال : حدثنا أبو كريب ، قال : حدثنا عثمان بن سعيد ، قال : حدثنا بشر من عُمارة قال : حدثنا أبو رَوق ، عن الضحاك ، عن ابن عباس : (الحمد لله رب العالمين) فذكره قال أحمد شاكر : صحيح الإسناد .

(٣) هذا البيت لشاعر جاهلى مخضرم هو حضرمى بن عامر الأسدى ، وفد إلى رسول الله ﷺ ـ فى نفر من بنى أسد فأسلموا جميعاً . وسبب قوله هذا الشعر : أنه كان له إخوة تسعة ، جلسوا جميعهم على بئر فانخسفت بهم جميعا نورثهم حضرمى هذا ، فحسده ابن عمه جَزْءُ بن مالك ، وقال له : من مثلك؟ مات إخوتك ، فورثهم ، فأصبحت ناعما جَذْلاً ، فدعا حضرمىٌ عليه بما جاء فى البيت ، وما كاد ، حتى جلس جَزْءٌ وإخوة له تسعة على بئر فانخسفت بإخوته ونجا جَزْءٌ هذا ، فبلغ ذلك « حضرميًا » فقال : إنا لله وإنا إليه راجعون ، كلمة وافقت قَدَراً ، وأبقت حقداً ، يعنى قوله لجزء : « فلاقيتَ مثلها عجلا » ومعنى أذنتنى : اتهمتنى .

الضم بنية النداء ، أى : يَا جَزْءُ

ومن أمثلة نصب المنادى المضاف دون ذكر الأداة ، قول الآخر :

كَذَبْتُمُ ، وبَيْتِ اللَّهِ لا تَنْكِحُونَهَا　　بَنِى شَابَ قَرْنَاهَا تَصُرُّ وتَحلبُ [١] .

والشاهد فى قوله : بنى شاب قرناها ، حيث نصب كلمة (بنى) على أنها منادى مضاف دون أن يذكر أداة النداء

وفى القرآن الكريم شاهد على ذلك ، فى قوله تعالى :

﴿ يُوسُفُ أعرضْ عَنْ هذا ﴾

حيث بنى « يوسفُ » على الضمّ ، على أنه منادى ، والمراد ـ والله أعلم ـ « يا يوسف أعرض عن هذا » وذلك من غير ذكر أداة النداء مع نيتها

* * *

ومن شأن العرب كذلك إذا حكتْ أو أمرت بحكاية خَبَرٍ يتلو القولَ ، أن تُخاطب (أى تتوجه بالكلام إلى مخاَطبٍ) ثم تخبر عن غائب (أى تجعل الكلام خبرا عن غائب) ، وتخبر عن غائب ثم تعود إلى الخطاب ، لما فى الحكاية بالقول من معنى الغائب والمخاطب .

ومن أمثلة ذلك قول الشاعر :

يَالَهْفَ نفسى ، كانَ جِدَّةُ خالدٍ　　وبياضُ وَجْهِك للتُّرَاب الأَعْفَرِ [٢] .

فقد تحدث عمن يرثيه حديثه عن الغائب (وهو خالد) ثم عاد إلى خطابه فقال: « وبياض وجهك »

ومثله قول الآخر :

بَاتَتْ تَشَكَّى إلىَّ النَّفْسُ مُجْهِشَةً　　وَقَدْ حَمَلْتُكِ سَبْعاً بَعْدَ سَبْعينَا [٣] .

---

(١) ورد هذا البيت (وهو شاهد نحوى مشهور) فى كتاب سيبويه : ١ / ٢٥٩ ، وقد ـ نَسَبَه صاحب مجاز القرآن » إلى رجل من بنى أسد ، وبنو شاب قرناها » قوم يقول لهم الشاعر : يابنى التى يقال لها « شاب قرناها » أى : يا بنى العجوز الراعية التى لاهم لها إلا أن تُصِرَّ (أى تشدّ الصرار على ضرع الدابة حتى يجتمع اللبن ، ثم تحلب ، وذلك على سبيل الذم .

(٢) هذا البيت لأبى كبير الهذلى فى ديوانه : الهذليين ٢ : ١٠١ ، قاله فى صديق له اسمه خالد يرثيه ، وهو يتلهف ويتحسر على وضع صديقه فى التراب الذى طوى شبابه (جِدَّته) ، وعفّر التراب الأبيض (الأعفر) بياض وجهه

(٣) هذا البيت للبيد بن ربيعة ، فى القسم الثانى من ديوانه : ٤٦ ، وقال ابن سلام فى طبقات فحول=

والشاهد فى البيت : حديث الشاعر عن نفسه حديث المخبر عنه الغائب فى الشطر الأول ثم رجوعه إلى خطابها فى الشطر الثانى .

* * *

وفى القرآن الكريم شاهد على ذلك النحو الأخير من كلام العرب ، فى قوله تعالى : ﴿ حَتَّى إِذَا كُنْتُمْ فِى الفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِمْ بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ ﴾ ، فخاطبهم سبحانه بقوله « كنتم » ثم رجع إلى الخبر عن الغائب بقوله ﴿ وجرين بهم ﴾ ولم يقل ـ جل شأنه ـ « وجرين بكم » .

ذكرت ما سبق من مناحى العرب فى كلامها ، وأنا أقرأ الحكم الذى أورده الطبرى ـ رحمه الله ـ فى تفسيره ، وقال فيه : « فقراءة (مالك يوم الدين) محظورة غير جائزة ، لإجماع جميع الحجة من القراء وعلماء الأمة على رفض القراءة بها » (١) وذكر ذلك وهو يورد الوجه الثالث فى قراءة (مالك يوم الدين) بنصب كلمة (مالك) ، وقال فى تعليل ذلك: وأما تأويل ذلك فى قراءة من قرأ : (مالك يوم الدين) فنصبه بنية النداء والدعاء . . . كأنه أراد : يا مالك يوم الدين إياك نعبد وإياك نستعين ولو كان علم تأويل أول السورة . . . وكان عقل عن العرب أن من شأنها أنها إذا حكت أو أمرت بحكاية خبر يتلو القول أن يخاطب ثم تخبر عن غائب ، وتخبر عن غائب ثم تعود إلى الخطاب لما فى الحكاية من معنى الغائب والمخاطب . . . لَسَهُلَ عليه فخرج ما استصعب عليه وجهته من جَرّ (مالكِ يوم الدين) (١) .

=الشعراء(وقد ذكر هذا البيت وبيتا آخر معه) أنهما قد رويا عن الشعبى .
وتشكى : تشتكى ، ومجهشة : متهيئة للبكاء وقد حنقها بكاؤها .

(١) ابن جرير الطبرى ـ تفسيره ، مرجع سابق ، ط ، ص١٥٢ ، ١٥٣ .

-(٦)-

لكل لغة من اللغات قوافيها التى تسير عليها ، وتسرى على أحكامها . .

وضابط صحة هذه القوانين أن يكون متحدثوا هذه اللغة قد تواضعوا عليها فيما بينهم ، فإن نزل أحدهم فى كلامه على أحكام هذه القوانين لم ينكر عليه سابق ما يقوله ، لأنه يتواصل مع الناس وفق ما جرى اتفاقهم عليه من قوانين لغة الفواصل .

واللغة العربية شأنها فى ذلك شأن سائر اللغات

ومما تواضعت عليه العرب من قوانين لغتها أنه يستفيض فى كلامهم أن يُنْقصَ المتطلم من الكلمة بعض أحرفها ؛ إذا كان فيما بقى من أحرفها التى يذكر ما يدل على ما حذف منها

ومما تواضعوا عليه أيضا أن يزيدوا فى حروفها لا ليس من أصول حروفها شرط أن تكون تلك الزيادة غير ملبسة

ومن أمثلة الحذف .

إنقاص حرف الثاء من كلمة « حارث » فينادونه : يا « حار » وإنقاس حرف «الكاف » من كلمة « مالك » فيقولون « يا مال » وبهذا جاءت قراءة فى القرآن الكريم لقوله تعالى « ونادوا يا مالك ليقض علينا ربك » [١] إذْ قرئت : « ونادوا يا مال ليقضى علينا ربك » وقد قال الراجز فى نحو ذلك :

مَا لِلظليمِ عَالَ ؟ كَيْفَ لاَ يَا ينقدُّ عَنْهُ جِلْدُهُ إذا يَا [١] .

كأنما أراد الراجز بقوله : « إذيا » أن يقول : إذ يفعل كـذا وكذا ، فاكتفى بذكـر

---

(١) للمفسرين فى توجيه هذه القراءة لطيفة ؛ ذلك أنهم تساءلوا : إن حذف الحرف من آخر الكلمة ترخيم ، والترخيم إما للتدليل أو للتحبب ، ولا مقام له إذ إن قولهَ : ﴿ **يا مال ليقض علينا ربك** ﴾ إنما هى على لسان أهل النار بعد من انتهاء العذاب أو تخفيفه ؟! فوجهوها على غير أصل ما استعملت العرب له الترخيم ، وقالوا: إنما حذف الحرف الأخير من (مالك) لانقطاع أنفاس أهل النار من شدة العذاب حيث لم يقدروا ـ من شدة ضنكهم ـ على إكمالها نطقا .

(٢) ورد هذا البيت فى شرح شواهد الشافية : ٢٦٧ .

وكلمة (عال) دعاء عليه من قولهم: (عال عوله) أى ثكلته أمه، فاختصر العبارة، ويا التى فى نهاية السطر الأول كأنما أريد بها أن يقول: « ينقد » فوقف عند « يا » ثم عاد فاستأنف الكلام قائلا « ينقد » ، أما « يا» التى فى آخر الشطر الثانى فكأنما أراد بها كلمة يعدو ، ليكون المعنى « كيف لا ينقد جلده إذ يعدو؟ » .

« يا » عن قول « يفعل » وما بعدها .

وقال غيره :

بالخير خيرات وإن شرا فا ولا أريد الحشر إلا أن تَا

بريد بقوله « وإن شراً فَا » أن يقول : وإن شرًّا فشراً (١) .

كما يريد بقوله « إلا أن تا » أن يقول : إلا أن تشاء وهكذا استغنى بـ « فا» و«تا» عن بقية حروف الكلمة فى كل منهما أما الزيادة فى الكلمة بأحرف ـ شرط ألا تسبب لبسًا ـ فمنه قول الشاعر :

أقول إذ خرت على الكلكال يانا فتى ما جلت من مجال (٢) .

وهو يريد بكلمة « الكلكال » « الكلكل » (وهو موضع انحطاط صدر الناقة على الأرض عند بروكها ، فزاد الألف ، وهى ليست من حروف الكلمة .

وقول الآخر :

إن شكلى وشكلك شتى فالزمي الخص واخفضى تبيضَّضى (٣) .

أراد بكلمة « تبيضَّضى » أن يقول : تَبْيضِّى ، فزاد حرف الضاد وهو ليس من حروف الكلمة .

ذكرت هذه السنن من سنن العرب فى كلامها وأنا أتأمل أقوال المفسرين فى الحروف المقطعة فى فواتح سور القرآن الكريم ، من مثل « ألم » ، « الر » وغيرها ، وبخاصة اختيار علماء العربية القول بأنها «حروف مقطعة بعضها أسماء الله عز وجل، وبعضها من صفاته ، ولكل حرف من ذلك معنى غير معنى الحرف الآخر . . . فقال بعضهم : الألف ألف (أنا) ، واللام لام « الله » والميم ميم « أعلم » ، وكل حرف منها دال على كلمة تامة . قالوا : فجملة هذه الحروف المقطعة إذا ظهر مع كل حرف منهن تمامُ حروف الكلمة « أنا الله أعلم » . قالوا : وكذلك سائر جميع ما فى أوائل

---

(١) البيت منسوب فى شرح شواهد الشافية للقيم بن أوس ، وهو فى الكتاب عند سيبويه ٢:٦٢، وفى الموشح : ١٢٠ .

(٢) وردت كلمة (كلكل) فى اللسان فى مادة (كلل) ، وفى «مشكل القرآن» : ٢٣٥ .

(٣) يوجه الشاعر الكلام إلى امرأته قائلا : نحن مختلفان ؛ شكلى وشكلك شتى فالزمى بيتك (الخصُّ ، وهو البيت من قصب) ، وعيشى فى دعة وخفض ، يزدك لين العيش بياضا فى اللون ، ونعمة فى العيش ، أما أنا فدائم الارتحال والرحلة تشقينى وتلوح وجهى (تُلَوِّنُهُ وربما سوّدته) .

سور القرآن من ذلك ، فعلى هذا المعنى ، وبهذا التأويل » (١) .

* * * *

-(٧)-

قد تتبع العرب الكلام بعضة بعضا فى الحكم الإعرابى ، وإن كان معلوما سمعًا وعقلا أنه ليس مما يتبعه فى حقيقة حكمه وماهيته ، أو استعماله فتجعل الكلمة مثلا فى موضع النصب أو الجر إتْباعًا لكلام سبق ، وإن كانت تلك الكلمة من غير جنس ما جرى على الكلمة المتنوعة من حكم أو استعمال.

من ذلك قول الشاعر فى الشاهد النحوى المشهور

عَلَفْتُـها تبنًا وماءً باردًا حَتَّى شتَتْ هَمَالَةً عَيْنَاهَا (٢) .

ومن المعلوم الشاهد أن الماء لا يعلف ، وإنما يسقى ، وإنما التبن هو المخصوص بالعلف ، لكن الشاعر نصب (ماءً) إما على إتباعها موضع (تبنا) اعتماد على إدراك السامع أن العلف للتبن والشرب للماء ، أو على تقدير (نية أو إضمار) فعل هو (وسقيتها) ماءَ باردًا .

ونظير ذلك قول الآخر :

ورأيتُ زَوْجَكِ فى الوَغَى مُتَقَلِّدًا سَيْفًا وَرُمْحَا (٣) .

فنصب « رمحا » إتباعًا لموضع سيفًا ، أو على تقدير (حاملا أو ممسكا) وهو فى كل الأحوال مستند إلى معرفة السامع بطبيعة الشىء المُتْبَع ومخالفته الشىء المتبوع.

وفى القرآن الكريم شواهد على ذلك الأمر (إجراء الكلمة إعرابا مجرى كلمة سابقة على سنة إتباع الكلام بعضه فى الحكم الإعرابى) :

من ذلك قوله تعالى: ﴿**يطوف عليهم ولدان مخلدون. بأكواب وأباريق**﴾ الآية، فجرت كلمة (أكواب) بحرف الباء وتبعتها (أباريق) معطوفة عليها ، ثم مضت

(١) ابن جرير الطبرى ، تفسيره ، مرجع سابق ، جـ١ ، ص ٢١٢ ، ٢١٣ .

(٢) هذا البيت مختلف فى قائله ، فقال محمود شاكر : لا يعرف قائله ، وأنشده الفراء فى معانى القرآن ١ : ٤ وقال : « أنشدنى بعض بنى أسد يصف فرسه ، وقال البغدادى فى خزانة الأدب : ٤٩٩ ك « رأيت فى حاشية صحيحة من الصحاح أنه لذى الرّمة ، ففتشت ديوانه فلم أجده.

(٣) هذا البيت يشيع الاستشهاد به فى كتب النحو ، وهو كسابقه شاهد على ما تقيم عليه العرب كلامها أحيانا من إتباع الكلمة ما قبلها فى الإعراب .

الآيات : ﴿ وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ ﴿١٨﴾ لا يُصَدَّعُونَ عَنهَا وَلاَ يُنْزِفُونَ ﴿١٩﴾ وَفَاكِهَةٍ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ ﴿٢٠﴾ وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٢١﴾ وَحُورٌ عِينٌ ﴾ (١) فجاءت كلمتا (لحم) و (حور) مجرورتين إتباعا لكلمة كأسٍ وماتلاها ، مع العلم بأن (اللحم) و (حور العين) مما لا يطاف به .

ومن ذلك :

قراءة من قرأ : ﴿ خَتَمَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ وَعَلَىٰ أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ (٢) على نصب كلمة (غشاوة) مع أن المشهور المحتج به عند القراء أنها مرفوعة على أساس انتهاء حكم الختم عند كلمة (سمعهم) لما هو معروف من أن الختم إنما يكون على القلوب والأسماع ، وأن الغشاوة إنما تقع على الأبصار كما تقول العرب ، وكما جاء فى قول شاعرهم :

تَبِعتُكَ إذ عينى عليها غشاوةٌ فلما انجلتْ قطعتُ نَفْسى ألومها (٣) .

فمن قرأها منصوبة (غشاوة) فكأنما نصبها بإضمار (جَعَلَ) كأنما قال : وجعل على أبصارهم غشاوة ، ثم أسقط (جعل) استنادًا إلى دلالة أول الكلام عليه ، وقد يكون نصبها على إتباع موضعها موضع السمع إذ كان موضعه نصبا.

* * * *

-(٨)-

من المعروف من كلام العرب فى استخدامها للموصولات أن الكلام . . إذا جاء على تمامه ـ يكون مكونا من الموصول وجملة الصلة والعائد لكن الاستغناء عن العائد (حذفه) يكثر فى كلام العرب ؛ لدلالة الكلام عليه ، لذا يذكر العائد حينا ويترك أحيانا ، وعلى هذا درج شعراؤهم ومن ذلك قوله :

---

(١) الآيات : (٢ـ١٧) من سورة الواقعة .

(٢) الآية (٥) من سورة البقرة .

(٣) هذا البيت للحارث بن خالد المخزومى ، ويروى باختلاف فى بعض كلماته ، وله قصة ،ذلك أن عبد الملك بن مروان لما ولى الخلافة خرج للحج ، فلما انصرف رجل الحارث بن خالد معه إلى دمشق فظهر للحارث جفوة من عبد الملك له ، فأقام ببابه شهرا لا يستطيع الدخول عليه فانصرف عنه منشدًا ذلك البيت وبعده :

وما بى إن أقصيتنى من ضراعة ولا افتقرت نَفْسى إلى من يضيمها

وَقَدْ كنتَ تُخفى حُبَّ سمراءَ حِقْبَةً ... فَبُحْ لأن منها بالذى أنت بائح [1] .

والشاهد فى البيت فى الشطر الأخير منه ؛ إذ قال : بالذى أنت بائح ، وتمام القول ـ إذا ذكر العائد ـ أن يقول : بالذى أنت بائح به ، فحذف الجار والمجرور (به) إعمالاً للقاعدة التى تقول :

إذا جُرَّ الموصول بحرف ، وجر العائد بحرف مماثل له ، واتفق العامل فيهما مادة جاز حذف العائد وذكره .

وفى البيت جُرْ الموصول (الذى) بحرف (الباء) والعائد (لوذُكر) يأتى مجروراً هو الآخر بحرف الباء (بِهِ) ، والعامل فيهم متفق مادة وهو (البوح) حيث قال: فبح بالذى أنت بائح .

فإذا اختلف الحرفان الجارّان للموصول والعائد نحو : مررتُ بالذى غضبت عليه (حيث جر الموصول « الذى » بالباء ، وجر العائد (الضمير فى عليه) بعلى لم يجز حذف العائد ، وكذلك إذا اختلف العاملان فى الموصول والعائد نحو ، مررتُ بالذى فرحتُ به (حيث عمل الفعل مرّ فى الموصول : الذى ، وعمل الفعل فـرح فى العائد الضمير المجرور بالباء فى (به) لم يجز حذف العائد .

* * * * *

وفى القرآن الكريم أمثلة على جواز حذف العائد متى توافر الشرطان (جر الموصول بحرف مماثل للحرف الجار للعائد ، واتفاق العامل فيهما مادة) وذلك فى قوله تعالى : ﴿ مَا هَذَا إِلاَّ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ﴾ [2]

---

(١) البيت لعنترة بن شداد العبسى ، وسمراء اسم امرأة يحبها ، وفى البيت نكتة لغوية فى لفظة (لآن) فإن أصلها (الآن) فحذف منها الهمزتان ، [وقيل هى لغة فى (الآن)] و (أل) التى فى لفظه (الآن) زائدة لازمة وليست للتعريف على الصحيح ، وهو ظرف للوقت الحاضر ، مبنى على الفتح ، وعلة بنائه : تضمنه معنى الإشارة ، وقد عمل أحَدُهُمْ فى لفظة الآن لغزا قال فيه :

مولاى إنى قد أبديت أحجيـة ... تخالها دُرراً فى السـلك منظـومة
ما كلمة قدروها وهى حاصلة ... فى اللفظ موجودة فى النطق مفهومة

وأجاب عنه بعضهم قائلا :

فى (الآن) قـد قدّرتْ لامٌ مُعَرفة ... لذاك تُبْنَى وليست فيه معـدومه
فهى التى قدروها وهـى ثابتـة ... بها الغرابة فى الألغاز معـلومـه
خذ الجواب ، وكن ذا فطنة حذقا ... فكم أناسٍ لفرط الجهل محرومه

(٢) الآية (٣٣) من سورة المؤمنون .

حيث لم يُذْكر العائد الذى تقديره (منه) يتلون القول على التقدير ـ ويشرب مما تشربون منه ، وقد جاز الحذف :

لتماثل الحرف الجار للموصول (ما) [وهو مجرور (بمن) وأصله قيل الإدغام (مِنْ مَا تشربون)] والحرف الجار للعائد وهو الضمير المجرور بالباء فى (منه) واتفاق العامل فيهما وهو (يشرب) .

ـ(٩)ـ

لا خلاف بين أهل اللغة ـ أو جمهورهم على الأقل ـ أن العرب تضع الكلمة وكان الكلمة ، فتحملّ الكلمة المذكورة معنى الكلمة المذكورة معنى الكلمة المُبْدَلَة ، أو تضع الحرف مكان الحرف على هذا الأساس ، وهذا معروف فى لغات القبائل العربية .

ومن أشهر الدلائل على ذلك : هذا البيت الشعرى [1] الذى هو شاهد نحو مشهور :

لاه ابن عَمّكَ ، لاَ أَفْضَلْتَ فى حَسَبٍ.
(عَنّى) ولا أَنْتَ دَيانى فَتَخْزونى.

وقد استخدم الشاعر الكلمة (عَنّى) بدلاً من الكلمة (عَلَىّ) التى هى الأصل المستخدم فى مثل هذا التعبير *

لكن التساؤل ينشأ عندما تستخدم الكلمة (فى رأى من يفسرونها على النحو الذى سأذكره) استخداما غير معروف بأنه لغة مشهورة ، وإنما يغلب التأويل فى تأكيد الأمر ـ على الاستشهاد ، أو قد يكون هناك الاستشهاد غير المسلم به من الكلّ :

أقول ذلك وأنا أقرأ هذين البيتين :

فَإِنْ تَكُ خَيْلى قد أصيب صميمها ... فحمدًا على عَيْن تَيَمَّمْتُ كالكا
أقولُ لَهُ ، والرّمْـــحُ يَأطِرُ مَتْـــنَهُ ... تَأَمَّلْ خُفَافًا ، إننى أنا ذلكـا [2] .

(١) البيت لذى الأصبع العدواني (حرثان بن الحارث بن محرث) ، والمشاهد فيه : قوله (عنى) فإن (عن) هنا بمعنى (على) ، والسرّ فى ذلك أن (أفضل) بمعنى زاد فى الفضل إنما يتعدى بـ (على) .

(٢) الشعر من قصيدة خفاف بن ندبة السلَمى بقوله فى مقتل ابن عمه معاوية بن عمرو أخى الخنساء ، ومالك المذكور (المقتول) هو مالك بن حمار الشمخى الفزارى : =

فظاهر المعنى أن (خفافا) يخاطب مالكا وقت أن طعنه ، وهو يقول له : (تأمل خفافا ، إننى أنا ذلكا) ، فلماذا قال (ذلكا) على وجه الخير عن الغائب ، وهو فى الحقيقة يخبر عن نفسه ؟

الذين يشرحون البيت يقولون: إنه فعل ذلك ، مستخدما (ذلك) بمعنى (هذا) فأظهر ذلك بمعنى الخبر عن الغائب ، والمعنى فيه الإشارة إلى الحاضر المشاهد [1] .

وهم يستخدمون هذا الوجه من التفسير للرد على التساؤل: كيف يجوز أن يكون (ذلك) بمعنى (هذا) فى قوله تعالى : ﴿ **ذلك الكتاب لا ريب فيه** ﴾ ، (وهذا) لاشك إشارة إلى حاضر معاين ، و (ذلك) إشارة إلى غائب غير حاضر ولا معاين؟

وقد ذكر الطبرى ـ رحمه الله ـ الردّ على ذلك (ورأى أنه الأولى) فقال :

« جاز ذلك لأن كل ما تقضىّ ، يقرب تقضيه من الإخبار [2] فهو ـ وإن صار بمعنى غير الحاضر ـ فكالحاضر عند المخاطب ، وذلك كالرجل يحدث الرجل الحديث فيقول السامع : « إن ذلك والله لكما قلت » ، و « هذا والله كما قلت » ، و « هو والله كما ذكرت » ، فيخبر عنه مرة بمعنى الغائب ، إذا كان قد تقضى ومعنى ، ومرة بمعنى الحاضر ، لقرب جوابه من كلام مخبرة ، كأنه غير مُنْقَض ، فكذلك (ذلك) فى قوله ﴿ **ذلك الكتاب** ﴾ [3] .

ـ (١٠) ـ

من شأن العــرب أن يقــول بعضهم لبعـض : نَامَ ليلك » ، « وخسر بَيْعُكَ » ،

= والصميم : الخالص المحض من كل شىء (وأراد معاوية ومقتله يومئذ على أساس أن الخيل بمعنى الفرسان وعمداً على عين : عن قصد وإرادة **وتممت** : قصدت وتوجهت إلى **يأطر** : يُقال أطر الشىء أطرا : إذا قبض على أحد فيه ثم ثناه وعوجه ، وأراد أن شدة الطعنة جعلته ينثنى من ألمها ثم ينحنى ليهوى صريعا وقد أصاب الرمح مقتله .

* وهم يعكسون الأمر أحيانا فيستخدمون (على) بمعنى (عن) كما فى قول قحيف العقلى ، يمدح حكيم ابن المسيب القشرى :

إذا رضيت عَلَىّ بنو قشير لعمر الله أعجبنى رضاها

(١) ذكرت فى الصفحة الماضية أن هذا الاستشهاد ببيتى خفافة قد يكون غير مسلم ، لأن محمود شاكر ـ رحمه الله ـ قال : « وأرى أن الإشارة فى هذا البيت إلى معنى غائب ، كأنه قال : « أنا ذلك الذى سمعت به وبيأسه » وهذا المعنى يخرج البيت عن أن يكون شاهدا على ما أراد الطبرى » .

(٢) المقصود : لقرب انقضائه من وقت إخباره به .

(٣) الطبرى ، تفسيره ، مرجع سابق ، جـ! ، صـ٢٢٦ .

« وخاب سعيك » ، وأصل القول ـ على مراد المعنى ـ نمتَ ليلك وخسرت فى بيعك، وخبت فى سعيك ، فهذا هو الأصل فى الكلام ، لكن العرب تقول ذلك ، وتفهم المراد منه على نحو ما أراده القائل

من ذلك قول الشاعر (١) :

وَشَرُّ المَنَايَا مَيِّتٌ وَسْطَ أَهْلِه

كَهُلْكِ الفتاة أَسْلَمَ الحىّ حَاضِرُه

فمقصود الشاعر أن يقول : وشرّ المنايا (منيّةُ) ميت ، لكن حذف (أسقط) كلمة (منية) مكتفيا بفهم من سمعه ما أراده ، فأغناه ذلك عن إظهار ما ترك إظهاره.

ومنه أيضا قول الآخر (٢) :

حَارِثُ قَدْ فَرّجْتَ عَنّى هَمِّى فَنَام لَيْلِى وتَجلَّى غَمِّى

والليل لم ينم ، وإنما الذى نام هو الشاعر ، فالأصل أن يقول: فنْمت ليلى ، لكنه قال ما قال جريا على سنة العرب فى ذلك .

ومنه كذلك قول جرير (٣) :

وأَعْوَرَ مِنْ نَبْهَانَ أَمَّا نَهَارُهُ فَأعْمَى ، وأَمَّا لَيْلُهُ فَبَصِيرُ

فأضاف الشاعر ـ فى البيت ـ العمى إلى النهار ، والإبصار إلى الليل ، وقصده أن يصف المهجوّ بذلك .

على هذا المنحى فى كلام العرب خرج الطبرى معنى قوله تعالى : ﴿ **فما ربحت تجارتهم** ﴾ ، ورد على من قد يعترض قوله : « وهل التجارة مما تَربحَ أو توكس؟» (يقصد إ نما يربح أو يوكس التاجر) فقال : « الله جلّ ثناؤه ـ خاطب بكتابه عربًا ،

---

(١) هو الحطيئة ، وهو من أبيات لم ترد فى ديوانه ، وإنما ذكرت (بروايات مختلفات) فى طبقات فحول الشعراء ، وأمالى المرتضى ، وكتاب سيبويه ، وهى فى الطبقات (أيقظ الحىّ) ، بمعنى أن حاضر الميت أيقظ الحى فقامت النادبات والبواكى للنواح عليه ، وكأن مقصود الرواية (أسلم الحىّ) كما هى هنا : أسلم الحىّ للبكاء .

(٢) البيت لرؤبة بن العجاج ، يمدح الحارث بن سليم من آل عمرو بن سعد بن زيد مناة .

(٣) البيت فى ديوانه جرير : ٢٠٦ وغيره ، وهو من شعره فى هجاء الأعور النبهانى وكان الأعور قد هجا جريرا ، فأكله جرير (قضى عليه) ، وقد قال أبو عبيدة فى شرح هذا البيت : « هو أعور النهار عن الخيرات ، بصير الليل بالسوءات ، يسرق ويزنى » .

فسلك فى خطابه إياهم ، وبيانه لهم ، مسلك خطاب بعضهم بعضا ، وبيانهم المستعمل بينهم . . . فقال : ﴿ **فما ربحت تجارتهم** ﴾ إذ كان مفعولا عندهم أن الربح إنما هو فى التجارة ، كما النوم فى الليل ، فاكتفى بفهم المخاطبين بمعنى ذلك ، عن أن يقال : فما ربحوا فى تجارتهم ، وإن كان ذلك فى معناه » (١) .

ـ (١١) ـ

تعرف بعض المفردات فى العربية باستعمال يكثر استخدامها فيه عند إرادة المعنى الدال على ذلك : ـ

ومن هذه المفردات (أو) التى تأتى فى كلام العرب للشك ، كما فى قول أحدهم : « لقينى أمس أبوك أو أخوك » فإنما لقيه أحدهما ، ولكن جهل عين من لقيه، فاستخدم (أو) لإظهار شكه فى تحديد من لقيه .

لكن (أو) قد تأتى دالة على مثل ما تدل عليه (الواو) ، يعرفُ ذلك ، إما بكلام سابق على ما ذكرت فيه أو بكلام يأتى بعده فمن الذى يدل عليه الكلام السابق، قوله (٢) :

وكنْتُ إذَا مازرت ليلى تَبَرْقَعَتْ ۞ فَقَدْ رابنى منها الغداةَ سُفُورهـا

وقد رابنى منها صدود رأيـته ۞ وإعراضها عن حاجتى وبسورها

[وقد زعمت ليلى بأنى فاجـر ۞ لنفسى تقاها أو عليها فجورها]

والشاهد هنا فى قوله : (أو عليها فجورها)

ومعلوم أن الشاعر ليس على وجه الشك فيما قال ، ولكن لمّا كانت (أو) فى هذا الموضع دالة على مثل الذى كانت تدلى عليه (الواو) لو وضعت مكانها ، وضع (أو) موضع (الواو) وهو مطمئن

ومن الذى يدل عليه الكلام الذى يأتى بعده قوله :

فَلَوْ كانَ البُكاءُ يَرُدُّ شَيْـئًا ۞ بكيتُ على بُجَيرْ أو عفـاق

عَلَى المرْأَيْنِ إذْ مَضيَا جميعا ۞ لشأنهما ، بُحزْنٍ واشتيـاق(٣) .

(١) ابن جرير ـ تفسيره ، مرجع سابق ، م ـ(صـ ٣١٦ ، ٣١٧ .

(٢) الأبيات من قصيدة لتوبة بن الحُمَير قالها فى ليلى الأخيلية ، وقد استنشدها الحجاج ـ لما دخلت عليه بعد موت توبة تطلب الرفد لها ولقومها ـ شيئا من شعره فكانت هذه الأبيات مما أنشدته .

(٣) هذان البيتان لتمم بن نويرة ، فى رثاء بجير بن عبد الله اليربوعى ، وأخيه عِفَاق ، وقد قُتِل أولهما يوم قشاوة ، وقتل الآخر يوم العظالى .

فقد دل الشاعر بقول (على المرأين) أنه لم يقصد ببكائه أحد الرجلين (بحيرا أو عفاق) مع أنه استخدم (أو) فى البيت الأول ، وإنما أراد بكاءهما معا

بمثل هذا الاستخدام (أو) ـ والله أعلم بمراده ـ جاء قوله تعالى : ﴿ أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ السَّمَاءِ ﴾ (1) .

فإنه تعالى فى الآية التى قبلها قال ﴿ **مثلهم كمثل الذى استوقد نارا** ﴾ الآية وقال فى هذه الآية ﴿ **أو كصيب** ﴾ .

ولما كان غير جائز فى حق الله تعالى أن يضاف إليه ـ سبحانه ـ الشكُّ فى شىء، لزم أن تفهم (أو) بمعنى (الواو) كما سبق بيانه فى لغة العرب ، وبخاصة أن المثلين محاضر باقى معرض واحد لبيان حال المنافقين .

ـ (١٢) ـ

يرد فى كلام ما حقه أن يذكر مجموعا ـ يرد فى صيغة المفرد

من ذلك قول الشاعر (2) :

كُلُوا فى بَعْضِ بَطْنِكُمْ تَعِفّوا   فإنّ زَمَانَنَا زَمَنٌ خَمِيصُ (3) .

فالشاعر يخاطب جماعة بدلالة ضمير الجمع فى (كلوا) وضمير خطاب الجمع فى (بطنكم) ، لكنه قال: (بطنكم) ولم يقل: (بطونكم) على ما هو الأصل ، فوحد البطن ، وأراد البطون .

وتورد العرب فى كلامهما المؤنث ، وهى مَذكّره ، كما قال الشاعر (3) :

---

(1) الآية (١٩) من سورة البقرة .

والصيب ـ (وزن فَيْعِل) ، من قولك : صاب المطر يصوب صوبا ، إذا انحدر ونزل ، يفهم ذلك من قول علقمه بن عبدة :

كأَنَّهُمُ صَابَتْ عليهم سَحَابَةٌ   صَوَاعقُها لطَيْرِهنّ دَبِيبُ

فَلاَ تَعْدلِى بينى وبَيْنَ مُغَمَّرٍ   سَقَاكِ رَوَايَا المُزْنِ حينَ تصوب

وأصل كلمة (صَيِّب) هو : (صَيْوِب) ، ولكن الواو لما سبقتها ياءٌ ساكنة ، جعلت الياء والواو ياءً مشدّدة ، كما قيل (سَيِّد) من (سَادَ يَسودُ) وأصلها (سَيْوِد) وكما قل (جَيِّد) من (جادَ يجود) وأصلها (جَيْوِد) .

(2) البيت لا يعلَم قائله ، وقد ذكره سيبويه فى (الكتاب) ١ : ١٠٨ ، وله روايات فيهَا « كلوا سفى نصف بطنكمو تعيشوا » و « فإن زمانكم » .

(3) الأبيات من شعر عامر بن جوين الطائى ، يصف أرضا مخصبة لكثرة ما نزل بها من الغيث .

* ومن تذكير العرب المؤنث (إذا سقطت منه علامات التأنيث) قول طفيل الغنوى : =

وَجَارِيَةٍ مِنْ بَنَاتِ المـــلو ... ك قَعْقَعْتُ بالخَيْلِ خَلْخَالَهَا
كَكُرْفِئَةِ الغَيْثِ ذَاتِ الصَّبِـــيرِ تَرْمِى السحاب ويَرْمى لَهَا
تَوَاعَدْتُهَا بَعـــدَ مَرِّ النجـــوم كـــلَفَاءَ تُكْثِرُ تَهْطَالَـهَا
فلا مَزْنَةٌ ودَقَتْ ودقهـا ... ولا أرض أبـــقلَ إبقالها

وقد قال: (ولا أرض أبقل) والأصل (ولا أرض أبقلت) .

وتورد العرب الجمع المؤنث وتذكره ، كما فى قول الشاعر [1] .

فَإِمَّا تُرَىْ لِمَّتِى بُدِّلَــت ... فإِنَّ الحَوادِثَ أَزْرَى بِهَا

فقد قال: (فإن الحوادث أزرى) وكان المنتظر أن يقول: (أزرت) بها .

ترد على الخواطر هذه الاستعمالات العربية ، ونحن نتأمل قول الله تعالى فى القرآن الكريم : ﴿ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِم ﴾ [2] .

فوحد الله سبحانه السمع (بسمعهم) وجمع الأبصار (وأبصارهم) ، والخير فى السمع عن جماعة ، كما أن الخبر فى الأبصار عن جماعة أيضا .

ولأهل العربية فى ذلك أقوال :

* قال بعض نحويى الكوفة : وَحّد السَّمْعَ لأنه عَنَى به المصدر ، وقصد به الخَرْق ، وجمع الأبصار لأنه عَنَى به الأعين .

* وزعم بعض نحويى البصرة : أن السمع وإن كان فى لفظ واحد فإنه لمعنى

= هل حبـل شماء قبل البين موصـول ... أم ليس للصرم عن شماء معدول
أم ما تُسائل عن شماء ما فعلـت ... وما تحاذر مـن شماءَ مغلـول؟
نهى أحوى من الربعىّ خاذلـة ... والعين بالإثمد الحارى مكحـول

فقال: (مكحول) عن العين ، ولم يقل : مكحولة ، والعين أنثى

* من تذكير العرب ما هو مؤنث قول الشاعر :

وقائع فى مضر تسعة ... وفى وائل كانت العاشرة

فقال: (تسعة) وكان يجبُ أن يقول :(تسع) لأن الواقعة مؤنثة

ومن تأنيث العرب ما هو مذكر قول الشاعر :

فإن كلاباً هذه عشر أبطن ... وأنت برىء من قبائلها العشر

فقال : (عشر أبطن) وكان ينبغى أن يقول :(عشرة) لأن البطن مذكر .

(١) البيت لأعشى قيس ، وهو فى ديوانه ١ : ١٢٠ ورواية الديوان هكذا

فإن تعهدينى ولِى لِمَّةٌ ... فَإِنّ الحوادثَ ألوى بها

(٢) الآية : (٢٠) من سورة البقرة .

جماعة ، ويحتجون بقوله تعالى: ﴿ لا يَرْتَدّ إليْهِمْ طَرْفُهُم﴾ [١] يريد : لا ترتد إليهم أطرافهم ، كما يحتجون بقوله تعالى : ﴿ ويُوَلّونَ الدُّبُر ﴾ [٢] يراد به أدبارهم .

* وقال الطبرى : « وإنما جاز ذلك عندى ؛ لأن فى الكلام ما يدلّ على أنه مراد به الجمع ، فكان فى دلالته على المراد منه ، وأداء معنى الواحد من السمع عن معنى جماعة ، فعنيا عن جِماعه » [٣] .

كما ترد هذه الاستعمالات على الخاطر ، ونحن نقرأ قول الله تعالى :

﴿ ثُمَّ اسْتَوَىٰ إلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ ﴾ [٤] .

فقال ـ جل ذكره ـ : ﴿ فَسَوَّاهُنَّ ﴾ فأخرج الضمير مخرج الجمع ، وقد قال سبحانه ـ قبل ذلك : ﴿ ثُمَّ اسْتَوَىٰ إلَى السَّمَاءِ ﴾ فذكرها على تقدير الواحد ولأهل العربية فى ذلك أقوال ، منها :

* لأن السماء جمع ، واحدها (سماوة) فتقدير : واحدتها وجمعها إذن كتقدير نخلة ونخل ، فيقال : هذا نخل ، وهذه نخل كما يفعل بالجمع الذى لا فرق بينه وبين المفرد غير دخول الهاء عليه ولذا أنثت السماء مرة فقيل (هذه سماء) وذكْرت مرة أخرى فقيل : هذا سماء » [٥] .

* وزعم بعضهم أن السماء واحدة، غير أنها تدلّ على السموات، فقيل: ﴿فَسَوَّاهُنَّ﴾ يراد بذلك التى ذكرت وما دلت عليه من سائر السماوات التى لم تذكر معهما.

* وقال الفراء : « فإن السماء فى معنى جمع ، فقال : ﴿فَسَوَّاهُنَّ﴾ للمعنى المعروف أنهن سبع سماوات ، وكذلك الأرض يقع عليها ـ وهى واحدة ـ الجمع ، ويقع عليهما التوحيد وهما مجموعتان ، قال الله عزّ وجل ـ ﴿ **رب السموات والأرض**﴾ ثم قال : ﴿ وما بينهما ﴾ ولم يقل: ﴿ بَيْنَهُنّ ﴾ فهذا دليل على ما قلت لك»[٦].

---

(١) الآية : (٤٣) من سورة إبراهيم . (٢) الآية : (٤٥) ، من سورة القمر .

(٣) الطبرى ، تفسيره ، مرجع سابق ، م١ ، ص ٣٦١ (وأراد بقوله : مغنيا عن جِماعه ، أى : عن جمعه).

(٤) الآية (٢٩) من سورة البقرة

(٥) انظر الطبرى تفسيره ، م١ ، ص ٤٣١ ، ٤٣٢ بتصرف .

(٦) الفراء : معانى القرآن ، القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٨٠م ، جـ١ ، ص٢٥ .

تتحدث عما كان من حال بعض من عرفت ، فتقول :

كانوا - على أيام اليسر - صائنى عهد ، حافظى ودّى واصلى رحم ، فلما تبدل اليسر عسرًا تبدلوا معه ، فما صانوا عهدًا ، ولا حفظوا ودًّا ، ولا وصلوا رحمًا .

ولك أن تقول القول نفسه هكذا :

كانوا - على أيام اليسر - خائنين للعهد ، حافظين للود ، واصلين للرحم . . . إلخ وفرق ما بين الصيغتين أنك : أضفت فى الأولى فحذفت النون (لأنها فصل والإضافة وصل ولا يجتمعان) ، بينما أبقيت النون فى الثانية لعدم الإضافة .

وهذا لا خلاف فيه (وهو إسقاط النون والإضافة) فى الأسماء المبنية من الأفعال (اسم الفاعل واسم المفعول) إذا كانت بمعنى (فعل) أى دالة على المضى والانقضاء .

وقد أثار بعضهم الجدل حول جواز الإضافة وحذف النون إذا كانت الأسماء المبنية بمعنى (يفعل) (أى فى الحال والاستقبال بأن معنى المضارع) أو بمعنى (فاعل)، فقالوا : « فأما إذا كانت بمعنى » يفعل وفاعل » فشأنها إثبات النون وترك الإضافة.

وكان الرد على ما سبق :

إنه « لا تدافع بين جميع أهل المعرفة بلغات العرب وألسنها ، فى إجازة إضافة الاسم المبنى من (فَعَل ويفعل) وإسقاط النون ، وهو بمعنى « يفعل وفاعل) أعنى ، بمعنى الاستقبال ، وحال الفعل ولما يُنْقَضِ » .

لكن الخلاف بين أهل العربية كان حول السبب فى الإضافة وإسقاط النون :

فقال نَحْوِيُّو البصرة : أسقطت النون من الأفعال التى فى لفظ الأسماء (أى من اسم الفاعل واسم المفعول) وهى فى معنى « يفعل » وفى معنى مالم ينقَضِ استثقالاً لها وهى مُرَادة ، واستشهدوا على ذلك بالقرآن الكريم كما فى قوله تعالى : ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ﴾ (١) ، وكذلك بقوله تعالى

﴿ إِنَّا مُرْسِلُوا النَّاقَةِ فِتْنَةً لَهُم ﴾ (٢) ، ولما يرسلها بَعْدُ .

---

(١) الآية (١٨٥) من سورة آل عمران ، وقد أضيفت (ذائقة) وهى اسم فاعل لما يستقبل من الزمان ، لأنها ستذوق الموت عند انقضاء أجلها ، فهى بمعنى (كل نفس ستذوق الموت) .

(٢) الآية (٢٧) من سورة القمر .

وقد قال الشاعر [١] :

هَلْ أنْتَ باعثُ دينارٍ لحَاجَتِنَا   أَوْ عَبْدَ رَبٍّ أَخَاعَوْنِ بْنِ مخْرَاقِ ؟

فأضاف « باعثا » إلى « الدينار » ولما يبعث بَعْد ، ونصب « عبد رب » عطفًا على موضع دينار لأنه فى موضع نصبٍ وإن خفض [٢] .

وقال آخر [٣] :

الحافظو عَوْرَةَ العَشيرة ، لا   يَأْتيهمُ مِنْ ورائهمْ نَطَفُ [٤] .

بِنَصْب كلمة (العَوْرة) وخفضها ، فالخفض على الإضافة ، والنصب على حذف النون استثقالاً وهى مُرَادَةٌ .

* أما نحويو الكوفة فقالوا: تجوز الإضافة وإسقاط النون لأنه فى لفظ الأسماء، فله فى الإضافة إلى الأسماء حكم الأسماء ، وكذلك حكم كل (اسم فاعل أو اسم مفعول) وإن كان فى معنى « يفعل » ولما ينقض ، وإذا أثبت فى شيء من ذلك النون ، وتركت الإضافة ، فإنما تفعل ذلك به ، لأن له معنى (يفعل) الذى لم يكن (لم يحدث) ولم يجب بعد ، فالإضافة فيه للفظ ، وترك الإضافة للمعنى .

نتذكر ما سبق من أحكام جواز إضافة الاسم الذى بمعنى « يفَعل وفاعل (اسم الفاعل واسم المفعول) ، ونحن نقرأ قول الله تعالى : ﴿ **الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلاقُوا رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُون** ﴾ [٥] .

---

(١) ينسب البيت إلى : جابر بن رألان السنبسى (وسنبس هذا أبو حى من طىء) ، وقيل: هو لجرير ، وقيل: هو لتأبط شرًا ، وقيل: هو مصنوع ، والله أعلم » .

(٢) والشاهد فى هذا البيت هو نصب « عبد رب » عطفا على موضع « دينار » لأن المعنى : هل أنت باعثٌ دينارًا أو عَبْدَ ربٍّ ؟. فأضاف باعث (وأسقط التنوين) وعطف على موضعه الأصلى وهو النصب .

(٣) هو عمرو بن امرئ القيس ، من بنى الحارث بن الخزرج ، جاهلى قديم (وهو جد عبد الله بن رواحة رضى الله عنه) .

(٤) البيت من قصيدة يوجهها الشاعر إلى مالك بن العجلان النجارى ، يقول: يحفظون عورة عشيرتهم إذا انهزموا ، ويحمونها من عدوهم ، ولا يخذلونهم ، وأصل العورة المكان الذى يُخاف أن يأتى منه العدوّ، **والعشيرة** : القبيلة ، **والنطف** : العيب والريبة والتلطيخ بالعيب: **والوكف** : العيب والإثم .

والشاهد فى البيت هو فى حذف النون من كلمة (الحافظون) وإعمالها الجرَّ فيما أضيفت إليه لفظا ، وهو فى موضع نصب لأن النون وإن كانت محذوفة لفظا فهى على نية إثباتها .

(٥) الآية (٤٦) من سورة البقرة

وفى قوله تعالى: « يظنون » وجوب تَأَمُّل : إذ قد يخطر على البال (لما هو متداول من معنى الظن على أنه الشك) سؤال : كيف يظنون ؟ (والظن شك) أنهم ملاقو ربهم ، والشاك فى لقاء الله كافر ؟!=

فنفهم وجه إضافة (مُلاقو) إلى (ربهم) وحذف النون منها لأن أصلها (يلاقون) وهذا هو معناها ، ولما يحدث ذلم بعد ، لأن الآية تدلل على حدوث ذلك يوم القيامة .

-(١٤)-

قد يشغل شيوع صيغة من صيغ الجمع ، وتداول صيغة معينة لمفرد هذا الجمع - قد يشغل ذلك العقل عن البحث عن صيغة أخرى أو صيغ مخالفة ، يمكن أن تستعمل ، وتكون صحيحة .

ومع المعروف أن واحد « النشاوى » نَشْوَانُ ، وواحد « السَّكارى » سكران ، وكذلك مع كل نعت كان واحده على فعلان فإن جمعه على « فعالى » إلا أن المستفيض من الكلام العرب فى واحد « النصارى » (وهو جمع على وزن فَعالى) أن يقولوا : « نصرانى » .

فهل سُمع من العرب صيغة أخرى (أوضيع) لمفرد (نصارى) ؟

قال الشاعر [١] :

تَرَاهُ إذا زَارَ العشىُّ مُحَنَّفًا وَيُضْحى لَدَيْه وَهْوَ نصران شامسُ

فنراه فى البيت قد قال : (نَصْرانُ) فى مفرد « النصّارى » .

= والجواب : أن العرب قد تسمى اليقين (ظنا) وتسمى الشك (ظنّا) ، ومن ذلك قول الشاعر : (دريد بن الصّمة) :

فقلتُ لهم : ظنوا بألف مدجج سَرَاتُهُم فى الفارسى السرَّد

فقال : (ظنوا) وإنما أراد (تيقنوا) [والسراة : جمع سرى وهم خيار فرسان القوم ،والفارسى المسرد: دروع فارسية مشهورة] .

ومما جاء في القرآن الكريم من استعمال (الظن) بمعنى اليقين قوله تعالى : ﴿وَرَأَى الْمُجْرِمُونَ النَّارَ فَظَنُّوا أَنَّهُم مُّوَاقِعُوهَا وَلَمْ يَجِدُوا عَنْهَا مَصْرِفًا﴾ [الكهف : ٥٢] .

(١) ذكر هذ الشعر ابن الأنبارى فى « الأضداد » : ١٥٥ ، وروايته « تراه ويضحى وهو . . . » وكذا نقله أبو حيان فى البحر المحيط ١:٢٣٨ عن الطبرى ، ولم يذكر أحدهم اسم الشاعر والبيت فى وصف «الحرباء» . ومحنفا : قد تحنف أو صار إلى الحنيفية ، ويعنى أنه مستقبل القبلة ، ويريد بقوله (لديه) : لدى العشى أو لدى الضحى ، وقوله : شامس : يريد مستقبل الشمس قبل المشرق (يقول عن الحرباء : إنه يستقبل الشمس كأنه نصرانى) .

وقال آخر (١) :

فكلتاهُما خَرَتْ وأَسْجَدَ رَأسُهَا ... كَمَا سَجَدَتْ نَصرَانَةٌ لم تُحَنَّف

فنراه قد قال فى الأنثى « نصرانَةُ » .

وقال ثالث (٢) :

لَمَا رأيتُ نَبَطًا أنصارًا ... شَمَّرْتُ عن رُكْبَتى الإزارًا

كنْتُ لهم من النصارى جَارًا

فهذا قد استخدم فى الجمع (أنصار) مرة و « النصارى » مرة أخرى .

وقال رابع (٣) :

فَلَمَّا لَوَيْنَ عَلَى معْصَم ... وكَفّ خَضيب وأَسْوَارِهـا

فَضُولَ أزِمّتها أَسْجَدَتْ ... سجود النَصارَى لأحبارها

فهذا قد استخدم فى الجمع : الصيغة الشائعة « النصارى ».

وقد ذكرهم باسم (أو وصف) الأنصار ، قوله تعالى:

﴿مَنْ أَنصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ اللَّهِ﴾ (٤) .

ومن ذكرهم باسم (النصارى) قوله تعالى :

﴿ وَمِنَ الذين قَالُوا إِنَّا نَصَارَى أَخَذْنَا مِيثَاقَهُمْ ﴾ (٥) .

وقد تواردت أخبار عن المفسرين تردّ تسميتهم « النصارى » من أجل أنهم نزلوا أرضا يقال لها : الناصرة .

---

(١) الشاعر هو أبو الأخزر الحمانى

وهو يصف ناقتين ، طأطأتا رؤوسهما من الإعياء ، فشبه رأس الناقة فى طأطأتها برأس النصرانية إذا طأطأته فى صلاتها (يقال : أسجد الرجل : أى طأطأ رأسه وخفضه وانحنى) .

وقد ذكر هذا البيت سيبويه فى كتابه ٢ : ٢٩ ، ١٠٤ ، وذكره فى لسان العرب مادة (حنف) .

(٢) صاحب الرجز غير معروف ، وقد أورده الفراء فى معانى القرآن ١ :٤٤ ، وابن الشجرى فى أماليه ١ :٧٩، ٣٧١ ، وأورده شاهدًا على حذف واو العطف (أى : وكنت لهم من النصارى جارًا) ثم أورده فى الموضع الآخر شاهدًا على حذف حرف العطف (الفاء) (أى : فكنت لهم من النصارى جارًا) .

(٣) هو حميد بن ثور ، يصف نوقًا .

(٤) الآية (١٤) من سورة الصف .

(٥) الآية (٢٢) من سورة المائدة .

ـ(١٥)ـ

الأسْمَاءَ الموصُولَةُ نوعان :

أولهما : الأسماء الموصولة المختصة، يختص كل اسم منهما بدلالته على ما ذكر مقصُودًا به (كالذى للمفرد المذكر ، والتى للواحدة،وبقية هذه الأسماء الموصولة) .

وثانيهما : الأسماء الموصولة غير المختصة التى تستخدم مقصودًا بهما الواحد والمثنى والجمع ، والمذكر والمؤنث .

فمن ذلك قول الشاعر (١) :

أَلَمَّا بسَلْمَى عَنْكُمَا إنْ عَرَضْتُما وقُولاَ لَهَا : عُوجِى عَلَى مَنْ تَخَلَّفُوا

فقال : « تخلفوا » وجعل « من » بمعنى « الذين » .

وقال الآخرى (٢) :

تَعَالَ فَإِنْ عَاهَدْتَنى لا تَخُونُنِى نكُنْ مِثْلَ مَنْ يَاذِئبُ يَصْطَحبانِ

فثنّى « يصطحبان » لمعنى (مَنْ) .

فالعرب توحدُ الفعل مَعَ (مَنْ) وإن كان فى معنى الجمع للفظه ، وتجمع كرةً أخرى الفعل مع (من) لمعناه .

والقرآن الكريم الذى خاطب فيه ربنا ـ سبحانه ـ العرب بلسانهم ، جاءَ قوله تعالى : **﴿ وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ أَفَأَنتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ وَلَوْ كَانُوا لا يَعْقِلُونَ ﴿٤٢﴾ وَمِنْهُم مَّن يَنظُرُ إِلَيْكَ أَفَأَنتَ تَهْدِي الْعُمْيَ وَلَوْ كَانُوا لا يُبْصِرُونَ﴾** (٣) .

فجمع مرة مع (من) فقال : (يستمعون) ، وذلك مراعاة لمعنى (مَنْ) ووحد فى المرة الثانية مع (من) فقال : (ينظر) لأنه فى لفظ الواحد لا شىء ـ مما كان يحيط بالعربى فى البادية ـ كان ألصق به ـ من غير بنى البشر ـ من الحيوان الذى يقتنيه ؛ فهو ماله الذى به يحتسب نماءه ، وهو الظهر الذى يركبه ، والضرع الذى يحلبه ،

---

(١) الشعر منسوب إلى امرئ القيس ، وهو فى ديوانه ضمن قصيدة عدتها ٢٣ بيتا ، وفيه (ويقال : إنها لرجل من كندة) [وكلمة (عنكما) التى فى البيت زائدة فى الكلام ، والعرب تقول: (سِرْ عنك) أى امض وتقول: (انفذ عنك) أى : جُزْ .

(٢) الشعر للفرزدق فى ديوانه : ٨٧٠ ، وهو من أبيات قصيدته الشهيرة الجيدة التى قالها حين نزل به ذئب فأضافه .

(٣) الآيتان (٤٢ ، ٤٣) من سورة يونس .

والصوف الذى يكتسبه ، والوبر والأديم الذى يتخذ منه أثاثا ومتاعا .

لذا نراه يحتفل بأسماء الحيوان وصفاته خَلْقًا وخُلُقًا كما يحتفل بأبنائه وكما كان يضع لكل سن من بنى البشر اسما : الطفل والصبى والغلام والشاب والكهل والشيخ فكذلك كان يفعل بالحيوان :

فما أسن من الحيوان فهو عارض ، فإذا رأو البقرة قد أسنت وهرمت قالوا : فرضت البقرة » .

وَوَصْفُ النار من عندهم يمتد ليشمل كل متقدم فى السن هرم ، قديم العهد بالحياة إنسان كان أو غيره .

قال الشاعر (١) :(يصف معاديًا له) :

يَارُبَّ مَوْلىً حَاسِدٍ مُبَاغِضِ عَلَىَّ ذِي ضِغْنٍ وَضَبٍّ فارض
له قُرُوء كقروء الحَائض

وقال آخر (٢) (يصف بعيرًا) :

لَهُ زِجَاجٌ وَلَهَاةٌ فَارِضُ هَدْلاَءُ كالوَطْبِ نُحَاهُ المحاخضُ

فإذا كان الحيوان الموصوف نَصَفًا ، بقرة مثلا ولدت بطنا بعد بطن ولم تعد بكرًا، فهى « عَوَان » ، يقولون : « قد عونت البقرة » .

والعوان عندهم أيضا كل ما كان نَصفًا من إنسان وغيره ، والجمع (عون) يقولون : (امرأةٌ عَوَانٌ بَيْن نِسوةِ عُون) .

---

(١) الشعر مذكور فى مجالس تعلب : ٣٦٤ ، والحيوان : ٦ : ٦٦ ـ ٦٧ وفى اللسان مادة (فرض) **والضغن**: الحقد ، **والضب** : الغيظ والحقد تضمره فى القلب ، **والقروء** : جمع (قُرء) ، وهو وقت الحيض ، قال ابن قتيبة فى شرح الشعر : (أى له أوقات ، تهيج فيها عداوته) ، وقال الجاحظ : « كأنه ذهب إلى أن حقده يخبو ويستعر ، ثم يخبو ويستعر » [أى كما تذهب الحيضة ثم تعود .

(٢) الشعر فى وصف بعير ، وهو فى اللسان مادة (زجج) ، والبيت الثانى فى المخصص ١ :١٦٢ والزجاج: جمع زِجّ ، وهو الحديدة التى تركب فى أسفل الرمح يركز به فى الأرض ، فاستعاره للأنياب ، **واللهاة**: لحمة حمراء الحنك معلقة على نهاية اللسان مشرفة على الحلق ، **والغارض** (فى هذا البيت): الواسع الضخم العظيم . .**والوطب** : سِقَاء اللبن يكون من جلد ، **ونحاه الماخض** : حركه وأماله من يمخض اللبن ليخرج منه الزبد **والحدلاء** : (والواحد أحدل) من يمشى فى شق وفى منكبيه ورقبته إقبال (ميل أو انحناء) على صدره .

(ولعله يصف امرأة ، يهجوها ، ويذكر قبح أنيابها وسعة لهاتها من شدة شرهها ، ويصف مشيتها المائلة كوطب يُحَرْكَ يمنة ويَسْرَةً .

قال الشاعر (١) :

إنِّى حَلَفْتُ بربَ الراقصات وما أَضْحَى بمكةَ من حُجُب وأَسْتَار

وبالهَدىِّ ـ إذَا احمرت مذارعها فى يــوم نُسْك وتَشويقَ وتَنْحَار

وما بزمزم من شُمْطِ مُحَلِّقَــــةِ وما بيثربَ من عَونٍ وأبـــــكارِ

وقال آخر (٢) :

وَمَأتَم كالدُّمَى حور مدامعُها لَمْ تَيْأسِ العَيْش أبكاراً ولا عُونَا

وتقول العرب : « حربٌ عوان» إذا كانت حربا قوتل فيها مرةً بعد مرة ، تمثيلا لها بالمرأة التى ولدت بطنا بعد بطن ، وكذلك يقولون : (حاجةٌ عوان) إذا كانت قد قضيت مرةً بَعْد مَرَّة . قال الشاعر :

وَعَائِق زيادٌ للعطاء ، ولَــمْ أكُـنْ لأقربه ماذاق ذو حسـب وفرا

وعند زياد ـ لو يريد عطاء هــم رجالٌ كثيرٌ قد يـــرى بهم فقرا

قعود لدى الأبواب طلاب حاجة عوان من الحاجات أو حاجة بكرًا (٣)

فقال : طلاب حاجة عوان ، أى تقضى مرة بعد مرة .

---

(١) الشعر للأخطل ، وهو بديوانه ١١٩ .

والشاعر يتحدث عما شاهده فى موسم الحج ، ويصف الحجيج وقد حلقوا رؤسهم وتحللوا من إحرامهم ، وقضوا حجتهم . **والشمط** : جمع أشمط ، وهو الذى خالط سواد شعره شعره بياض الشعر .

وقد روى الطبرانى البيت الأخير (من شمط محفلة) وهى تخالف ما فى الديوان ، فإن صحت روايته ، فكان (محفلة) من الحفيل والاحتفال ، وهو الجد والاجتهاد ، يقال: وهل ذو حفيل ، وذو حَفْل وحفلة: له جدّ واجتهاد ؟ ومبالغة فيما أخذ فيه من الأمور (وكأنه عنى أنهم مجتهدون فى النسك والتعبد) .

(٢) الشعر لتميم بن أبى عقيل ، وهو من جيد الشعر ، **والمأتم** عند العرب : جماعة النساء ، ـ أو الرجال ـ فى خير أو شر قالوا : والعامة تغلط فتظن أن « المأتم » النوح والنياحة ، **والدمى** : جمع دمية : الصورة أو التمثال ، قد تأنق صانعه فى صنعته وبالغ وتحسينه ، والعرب تشبه النساء بالدمى كثيرًا ، والحور جمع حوراء (**والحور** : اشتداد بياض العين ، واشتداد سوادها واستدارة حدقتها ، مع رقة جفونها ، وبياض ما حولها . وقوله : **لم تيأس** : لم تشْكُ بؤس العين .

(٣) الأبيات للفرزذق ، وهى فى ديوانه : ٢٢٧ ، وفى طبقات فحول الشعراء : ٢٥٦ ، وغير ذلك والشعر فى زياد ، وهو يوضح فيه موقفه من طلبه ليناول عطاء زياد مع من يقصدون زيادًا لنيل عطائه .

ويروى البيت الأخير « قعودًا » وعند صاحب طبقات الشعراء : « طالب حاجة » .

وقد نصب الشاعر : « حاجة » بعطفها على موضع « حاجة عوان » لأن وضعها النصب بقوله : (طلاب) والمراد (طالبين حاجة) .

فإذا لم يكن ما يصفونه (فارضا) ، ولا (عوانا) فهو (بكر)

بهذه الأوصاف جاءت آيات القرآن الكريم فى وصف البقرة التى طلب إلى بنى إسرائيل أن يذبحوها .

قال تعالى : ﴿ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لاَّ فَارِضٌ وَلا بِكْرٌ عَوَانٌ بَيْنَ ذَلك ﴾ (١) .

-(١٧)-

الأصل فى اللغة المراضعة ، فما تواضعت العرب على إطلاقه من ألفاظ لغتها ، وحملته دلالة تواضعوا فى كل حديثهم عليها دون مشاحة فى الدلالة فهو من لغتهم مُسَلَّم به .

والعرب فى نعتها ما حولها تقول : هذه إبل صُفرٌ ، وهذه ناقة صفراءُ » يعنون بذلك أنها (سوداء) ،وإنما قالوا ذلك فى الإبل ؛ لأن سوادهما يضرب (يميل) إلى الصفرة .

قال الشاعر (٢) يصف إبلاً وخيلا أعطيت له ، ويمدح معطيه :

إنَّ قَيْسًا ، قَيْسَ الفَعَال أَبَا الأشــ ـعَث أمْسَتْ أَمْدَاؤُهُ لشعوب

كُلَّ عـــام يَمُدُّني بجَـــمُوم عندَ وَضْع العنان أو بنَجيب

تلكَ خَيْلي مِنْهُ وتَلـكَ ركـــابي هُنَّ صُفْرٌ ، أولادها كالزبيب

فوصف الخيل والإبل بقوله: (هن صفر) يريد أنها سوداء ، بدلالة قوله : (أولادها كالزبيب) .

نذكرُ ذلك ونحن لا نزال نتابع وصف البقرة التى أمر بنو إسرائيل بذبحها ، فأطالوا اللجاج حولها أوصافها ، فكان مما قال الله تعالى فى وصفها :

(١) الآية (٦٨) من سورة البقرة .

(٢) الشعر للأعشى الكبير ، وهو فى ديوانه : ٢١٩ ، وفى الأضداد لابن الأنبارى : ١٣٨ وفى لسان العرب مادة (صفر) .

والشعر من قصيدة يمدح بها الأعشى أبا الأشعث قيس بن معد يكرب الكندى .

والركاب : الإبل التى يُسار عليها ، لا واحد لها من لفظها ، وإنما واحدتها : راحلة . والزبيب : ذاوى (جاف / ذابل) العنب ، وأسوده أجوده ، ولا يكون أسود خالص السواد .

يقول الأعشى (وهو الشاهد) : تلك كل ما أملك من خيل ، ومن إبل ، قد ولدت لى خير ما تلد الإبل (إبل سود) ، وكلها من عطاء أبى الأشعث .

﴿ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَاءُ فَاقِعٌ لَوْنُهَا تَسُرُّ النَّاظِرِينَ ﴾ .

ونذكره ونحن نقرأ الخبر الوارد فى وصف البقرة عند شرح قوله تعالى : ﴿صَفْرَاءُ فَاقِعٌ لَوْنُهَا ﴾ .

أخرج الطبرى : حدثنى أبو مسعود بن إسمعيل الجحدري قال : حدثنا نوح بن أبى قيس ، عن محمد بن سيف ، عن الحسن : « صفراء فاقع لونها » قال : سوداء شديدة السواد (١) .

ويعلق الطبرى ـ رحمه الله ـ على ذلك بقوله : « وذلك [يقصد قول (صفراء) والمراد سوداء)] إن وصفت الإبل به ، فليس مما توصف به البقر ، مع أن العرب لا تصف السواد بالفقوع ، وإنما تصف السواد ـ إذا وصفته بالشدة ـ بالحلوكة ونحوها ، فتقول : « هو أسود حالك وحانك وحُلكوك ، وأسود غربيب ودَجوجى » ولا تقول: هو أسود فاقع ، وإنما تقول : « هو أصفر فاقع » . فوصفه إياه « بالفقوع » من الدليل البين على خلاف التأويل الذى تأول قوله : (إنها بقرةٌ صَفْرَاءُ فاقع » المتأوِّلُ، إن معناه سوداء شديدة السواد » (٢) .

ـ(١٨)ـ

الأصل فى الاستثناء هو إخراج المستثنى من عموم ما حكم به على المستثنى منه فأنت تقول: « حضر القوم إلا زيدًا » فَتثبت الحضور للقوم أجمعين وتستثنى زيدًا من إثبات الحضور ، وتثبت له ـ بالاستثناء ـ حكما آخر هو عدم الحضور .

ذلك إذا كان المستثنى من جنس المستثنى منه ، وكان الكلام تاما موجبا ويكون حكم المستثنى هنا وجوب النصب ولك أن تعطى نفس المعنى بكلام تام منفى (غير موجب) بقولك: ما غاب القوم إلا زيدٌ (أو زيدًا) ، ويكون حكم المستثنى هنا جواز النّصب بالاستثناء أو للمستثنى منه .

---

(١) علق محمد شاكر ـ رحمه الله على الخبر بقوله : أبو مسعود بن مسعود الجحدرى البصرى ؛ ثقة روى عنه أيضا النسائى وأبو حاتم مترجم فى التهذيب ، وابن أبى حاتم ١/١/ ٢٠٠ مات سنة ٢٤٨ . نوح بن قيس بن رباح الأزدى الحدانى : ثقة ، فترجم فى التهذيب ، والكبير ٤/١/١١١ ـ ١١٢ ، وابن أبى حاتم ٤/١/٤٨٣ .

(٢) الطبرى ، تفسيره ، مرجع سابق ، م٢ ، ص ٢٠١ .

لكن المستثنى ـ فى بعض الاستعملات ـ يأتى من غير جنس المستثنى منه ، كأن تقول: (رحل القوم إلا فرسًا) ، ويسمى هذا عند بعض أهل العربية (استثناء منقطعا) ؛ لانقطاع الكلام الذى يأتى بعد (إلا) عما قبلها .

وضابط ذلك الاستثناء المنقطع أن يكون فى كل موضع حَسُنَ أن يوضع فيه مكان (إلا) (لكنْ) ، فَيُعْلَمُ حينئذ انقطاع معنى الثانى (المستثنى) عن الأول (المستثنى منه) ، ألا ترى أنك لو قلت: (رحل القوم لكن فرسا) صح الكلام على معنى (لكن فَرَساً لَم يَرْحَل) .

قال الشاعر (١) :

قَاتَلَ اللّهُ قَيْسَ عَيْلانَ طُــــراً   مَا لَهُمْ دُونَ غَدْرَة منْ حجَــــاب

[لَيْسَ بَيْنِى وبَيْنَ قَيْسٍ عتَابٌ   غَيْرَ طَعْنِ الكُلَى وَضَرْبَ الرقاب]

فالشاعر استثنى (بغير) : طعن الكلى ، وضرب الرقاب ، وهو من غير جنس المستثنى منه ، وهو العتاب ، وجائز أن تقول : (ليس بينى وبين قيس عتاب لكن طعن الكلى) أى ، لكن بينى وبينهم طعن الكلى وضرب الرقاب .

وقال الآخر (٢) :

عَلَى لعَمْرو نعْمَةٌ بَعْدَ نعْمَــة   لوَالده ، لَيْســتْ بذات عَقَــارب

[حَلَفْتُ يَمِينًا غيرَ ذى مثنوية   ولاَ علْمَ ، إلاَّ حُسْنَ ظَنٍّ بصَاحب]

لئَنْ كانَ للقبرين : قَبْرٍ بجــلَّق   وقَبْرٍ بصَيْدَاءَ الــذّى عنْد حَــارب

وللحارت الجَفْنىّ سيِّد قَوْمــه   لَيَلْتَمسَنْ بالجَــيْش دَارَ المَحَــارَب

فقال ، ولا علم عندى ، لكن حُسْنُ ظَنٍّ يصاحب

---

(١) الشعر لعمرو بن الأيهم التغلبى النصرانى ، وقيل: اسمه عمير .

وهو يقول هذا الشعر فى هجاء قيس عيلان ، وقد أنشد سيبويه البيت الشاهد برفع (غير) على البدل من عتاب توسعًا ومجازًا ، والواجب فى المستثنى فى (الاستثناء المنقطع) غير الموجبه (المنفى) أن يُنْصَبَ ، وبنو تميم وحدهم بحيزون الاتباع .

(٢) الأبيات للنابغة الذبيانى يمدح عمرو بن الحارث الأعرج الغسانى

وقوله (مثنوية) : يعنى استثناء . وهو يقول فى الأبيات :حلفت يمينا لئن كان من هو ـ من ولد هؤلاء الملوك من آبائه الذين عدد قبورهم فى الأبيات ـ ليغزونّ من حاربه فى عقر داره وليهزمنه ، ولم أقل هذا عن علم إلا ما عندى فى صاحبى من حسن الظن .

نتذكر هذا ونحن نتلو قوله تعالى فى بنى إسرائيل
﴿ وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلا أَمَانِيَّ ﴾ (١) .

فهذا من الاستثناء المنقطع ، إذ (الأمانى) من غير نوع (الكتاب) ، وقد نفى عنهم سبحانه علم الكتاب ، فلو أنك قلت فى معنى ﴿ وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلا أَمَانِيَّ ﴾ : ومنهم أميون لا يعلمون الكتاب لكن أمانى تقصد : لكنهم يتمنون ، لصح كلامك .

وكذلك قوله تعالى :
﴿ مَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلاَّ اتِّبَاعَ الظَّنِّ ﴾ (٢) .

و (الظن) ليس من (العلم) فالمعنى (وما لهم به من علم لكن اتباع الظن أى : لكنهم يتبعون الظن .

وكذلك قوله تعالى :
﴿ وَمَا لأَحَدٍ عِندَهُ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰ (١٩) إِلاَّ ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الأَعْلَىٰ ﴾ (٣) .

وهكذا فى أمثال ما سبق من الآيات

ـ(١٩)ـ

الإبدال ـ إبدال حرف بحرف ـ من الظاهرات الشائعة فى لغة العرب ، إذ كثيرا ما يبدلون حرفا بحرف « لهجة أو لغة »

ومن أمثلة ذلك :

ماء ، فأصله « ماه » فأبدلوا « الهاء » « همزة » ، فإذا صغروة قالوا : « مويه » فردوا الهاء فى التصغير ، وأخروه على أصله

وكذلك إذا صغروا « آل » قالوا : « أهيل » فردوا الهمزة التى فى آل إلى أصلها وهو الهاء إذ هى فى الأصل « أهل »

وقد حكى سماعا من العرب فى تصغير « آل » : « أُوَيْلٌ »

---

(١) الآية (٧٨) من سورة البقرة .

(٢) الآية (١٥٧) من سورة النساء .

(٣) الآيتان (١٩ ، ٢٠) من سورة الليل .

وإذا قيل: فلان من « آل النساء » كان المراد أنه منهن خلق ، كما يراد به أيضا أن يريدهن ويهواهن.

قال الشاعر [١] :

فَإنّكَ منْ آلِ النسَاءِ وَإنّما يَكُنَّ لأدْنَى ، لاَ وِصَالَ لغائبِ

وأفضل استخدامات اللفظ (آل) أن يكون مع الأسماء المشهورة ، مثل قولهم: « آل محمد ﷺ » « وآل عباس » وغير ذلك .

ومن غير الحسن بلسان العرب (عند أهل العلم به) أن يقال : لقيت آل الرجل، ورآني آل المرأة (هذا بالنسبة للأشخاص)

كما أنه من غير الحسن كذلك أن يقال : علمت ذلك عن آل الكوفة ، أو سمعت هذا من آ البصرة (بالنسبة للأماكن) وإن كان قد ذكر عن بعض العرب سماعا قولهم : « آل مكة ، وآل المدينة » وإن ذلك غير فاشٍ ولا مستعمل فى كلامهم.

ومن أمثلة المستحسن فى استعمال « آل » مع الأسماء المشهوره قوله [٢] :

وَمَالِيَ إلا آلَ أَحْمَدَ شيعةٌ وَمَالِيَ إلاَّ مَذْهَبَ الحَقِّ مَذْهَبُ

وقد جاءت آيات القرآن الكريم متضمنة لفظة (آل) مستعمله مع من عرفت أسماؤهم أو ألقابهم كما فى قوله تَعالى :

﴿ وَإِذْ نَجَّيْنَاكُم مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ ﴾ [٣] .

وإنما جاز مخاطبة الحاضرن من بنى إسرائيل بقوله تعالى : ﴿ وَإِذْ نَجَّيْنَاكُم مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ ﴾ وهم ليسوا ممن أدرك فرعون ولا ممن نُجّوا منه ، لأنهم أبناء الذين ناهم الله

---

(١) البيت غير معروف قائله

وقوله : « يكن لأدنى » يعنى للقريب الحاضر ، يصلن حبال مودته ، أما من غاب فقد تقطعت حباله، وتلك عَادَةُ الخَلَقْ .

ومن الواضح أن البيت هجاء ، وفيه تعيير بعدم الوفاء وثبات العهد ، ونسبة إلى من يقول الشاعر : إن هذا من شيمهن .

(٢) البيت للكميت بن زيد الأسدى من قصيدة يمدح فيها آل النبى - ﷺ - وأولها :

طَرِبْتُ وما شوقًا إلى البيض أطرب ولا لعبا منى ، وذو الشيب يلعب ؟

(٣) الآية (٤٩) من سورة البقرة .

من فرعون وقومه ، فأضاف ـ سبحانه ـ ما كان من نعمه على آبائهم ، ولغة العرب تعرف بذلك .

ومن قول الشاعر (١) :

وَلَقَدْ سَمَا لَكُمُ الهُذَيْلُ فَنَالَكُمْ بإرابَ ، حَيْثُ يُقَسِّمُ الأنْفَالا

في فَيْلَقٍ يَدْعو الأرَاقِمَ لَمْ تَكُنْ فُرْسَانُهُ عُزْلاً وَلا أكفَالا

والشاعر لم يدرك (هذيلا) ولا رآه ، ولا أدرك يوم « إراب » ولا حضره ، ولكنه لما كان يومًا من أيام قومه على قوم من يهجوه ، أضاف الخطاب إليه وإلى قومه

وهكذا ـ ولله المثل الأعلى ـ جاء خطاب الله ـ تعالى شأنه ـ إلى الحاضرين من بنى إسرائيل ﴿ وَإِذْ نَجَّيْنَاكُم مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ ﴾ بإضافة ما فعله بآبائهم إليهم .

من مظاهر غنى اللغة العربية وثرائها أن يُدَلَّ على الفْعل بأكثر من صيغة مع تصريفاتها المتعددة

= من ذلك إذا أردنا التعبير عن الإفساد فى الأرض :

فلنا أن نقول : « عَثِىَ فلان فى الأرض » ، يَعْثَى عَثًا ، ونقول عن الجماعة : هم (يَعْثَوْن) فى الأرض ، وذلك إذا تجاوزوا فى الإفساد إلى غايته (٢) ،من تكلم بهذا اللغه فأخبر عن نفسه . يقول : عَثِيتُ : أعْثى

= وفى الفعل الدال على الإفساد فى الأرض لغتان **أخريان** :

أولهما : (عَثَا يَعْثُو عُثُوًّا) ومن نطق بها فإنه ينبغى له أن يَضُمَّ حرف « الثاء »

---

(١) الشعر للأخطل ، يهجو جريرا ، وهو فى ديوانه : ٤٨ .

و « سما لكم » : أشرف عليكم وقصدكم عاليا عليكم ، والهذيل : هو الهذيل بن هبيرة الثعلبى غزا بنى يربوع (قوم جرير) بموضع (أراب) وهو ماء لبنى رياح بن يربوع فقتل منهم خلقا كثيرا جدا ، وأصاب نعمًا ، وسبى سبيا كبيرا ، منهم « الخطفى » جد « جرير » فسمى الهذيل « مُجدِّعًا » وصارت بنو تميم تفزع أولادها باسمه

والأراتم : هم جُشم ، ومالك ، والحارث ، وثعلبة ، ومعاوية ، وعمرو ، أبناء بكر بن حبيب بن عمرو بن غانم بن ثعلب ، رهط الهذيل ، وسموا الأراقم : تشبيها لهم بالحيات

والأعزال : جمع أعزل وهو من لا سلاح معه . **والأكفال** : جمع كِفْل وهو من لا يثبت على ظهر فرسه ولا يحسن الركوب .

(٢) قال محمود شاكر (انظر تعليقه فى تفسير الطبرى م ٢ صـ١٢٢) : العثا : مصدر عَثِىَ يعثى ، كرضى يرضى، وهى لغة الحجاز ، ولم أجد هذا المصدر إلا فى تاج العروس ، ولست أعلم أهو بفتح العين أم بكسرها، ولكنى استظهر أن يكون فتح العين هو الأرجح .

من « يعثو » ، ومَن أخبر عن نفسه بهذه اللغة يقول : (عَثَوْتُ أعثُو)

= **والأخرى** : (عَاثَ يَعيثُ عَيْثًا وعُيُوثًا وَعَيَثانا) كل ذلك بمعنى واحد وقد استخدم الشاعر (١) « (عاث يعيث عيثا) واشتق فيه اسم فاعل فقال :

وَعَاثَ فينا مُسْتَحِلٌّ عَائِثٌ ... مُصَدِّقٌ ، أَوْ تَاجِرٌ مُقَاعِثُ

يقصد بقوله : (عاث فينا) : أفسد فينا

ونحن نلحظ هذا الغنى فى مفردات اللغة ، ونحن نتلو قوله تعالى :

﴿ كُلُوا وَاشْرَبُوا من رِّزْقِ اللَّهِ وَلا تَعْثَوْا فِي الأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴾ (٢) .

وهذه القراءة على لغة (عَثِى يَعْثَى عَثًا) (٣) .

= تتطابق الكلمات فى الكتابه رسما ـ إذا كانت بغير ضبط أو شكل ـ وتختلف نُطْقًا ـ حين تُضبَطُ وتشكل ، ويكون بينهما تقارب أو تداخل فى المعانى

مما سبق كلمتا : (حُسْنًا) : بضم الحاء والسين مَعًا .

وقد اختلف أهل العربية فى فرق ما بين معنى الكلمتين :

= فقال بعض البصريين :

هو على أحد وجهيين :

- إما أن يكون يراد بـ (الحَسَنِ) الْحُسْنُ) ، وكلاهما لغة كما يقال : (البُخْلُ و البَخَلُ) .

ـ وإما أن يكون قد جعل (الحُسْنُ) هو (الحَسَنُ) فى التنبيه .

وذلك أن (الحُسْنَ) مصدر ، و (الحَسَنُ) هو الشىء الحَسَنُ ويكون حينئذ كقولك : « إنما أَنْتَ أَكْلٌ وَشُرْبٌ » ، وكما قال الشاعر (٤) :

---

(١) هو رؤبة بن العجاج ، والشعر فى ديوانه : ٣٠ .

مُسْتَحلّ : قد استحل أموالهم واستباحها . **والمصدق** : هو العامل الذى يقبض الزكاة من مخرجيها، وهو وكيل الفقراء فى القبض ، وله أن يتصرف بما يؤديه إليه اجتهاده ، وربما جار وتجاوز الحد إذا لم يكن من أهل الورع . **مُقَاعث**: يقال: قعث الشىء يقعثه وقعثه فانقعث: إذا قلعه من أصله فانقلع .

(٢) الآية (٦٠) من سورة البقرة .

(٣) قال الطبرى . من قرأها (يقصد الآية ٦٠) بهذه اللغة (يعنى : عثا يعثو) فإنه ينبغى له أن يضم الثاء من (يعثو) ولا أعلم قارئا يقتدى بقراءته قرأ به وعلق شاكر بذكر ما جاء فى لسان العرب : « القراءة سنة ، ولا يقرأ إلا بما قرأ به القراء » .

(٤) يقال: إن الشعر لعمرو بن معد يكرب الزبيدى ، (الخزانه ٤ : ٥٦) .

وَخَيْلٍ قَدْ دَلَفْتُ لَهَا بِخَيْلٍ   تَحِيَّةُ بَيْنِهِمْ ضَرْبٌ وَجِيعُ

فجعل « التحية » ضربا

* وقال آخر :

بل (الحُسْنُ) هو الاسم العام الجامع جميع معانى الحُسْن ، و (الحَسَنُ) هو البعض من معانى (الحُسْنِ) . قال ، ولذلك قال جل ثناؤه : ﴿وَوَصَّيْنَا الإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا﴾ (١) .

يعنى بذلك أنه وصّاه فيهما بجميع معانى الحُسْن ، وأمر فى سائر الناس ببعض الذى أمره به فى والديه ، فقال : « وقولوا للناسِ حَسَنًا » يعنى بعض معانى الحسن.

نلحظ ذلك التوافق أو التداخل فى المعانى ، ونحن نقرأ قول الله تعالى خطابا إلى بنى إسرائيل :

﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لا تَعْبُدُونَ إِلاَّ اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ (٢) .

إذا قلت لواحد من الناس : « أتدخل بيتا مسكونا بغير إذن وهو محرم عليك دخوله ؟ » لزمك أن تضع (هو) بين (الواو) و اسم المفعول (محرّم) ؛ لأن (الواو) التى جئت بعدها بـ (هو) تقتضى اسمًا يليها لا فعلا ولا مشتقا من الفعل .

وفى قولك : (وَهُوَ) فى المثال السابق **وجهان** :

أحدهما : أن يكون (هو) كناية عن الدخول الذى تقدم ذكره ، كأنك تقول :

---

(١) الآية (٨) من سورة العنكبوت .   (٢) الآية (٨٣) من سورة البقرة .

وقد علق الطبرى ـ رحمه الله ـ على القول الثانى من القولين فى الفرق بين معنى (حُسْنًا) و (حَسَنًا) بقوله: والذى قاله هذا القائل فى معنى (الحُسْن) بضم الحاء وسكون السين : غير بعيد من الصواب ، وأنه اسم لنوعه الذى سُمّى به . وأما (الحَسَنُ) فإنه صفَةٌ وقعت لما وصف به ، وذلك يقع بخاص . وإذا كان الأمر كذلك فالصواب من القراءة فى قوله : (وَقُولُوا للناسِ حَسَنًا) ؛ لأن القوم إنما أمروا فى هذا العهد الذى قيل لهم : (وَقُولُوا للناسِ) باستعمال الحسن من القول ، دون سائر معانى الحسْن الذى يكون بغير القول . وذلك نعتٌ لخاصٍ من معانى الحُسن ، وهو القول ، فلذلك اخترتُ قراءته بفتح الحاء والسين ، على قراءته بضم الحاء وسكون السين .

وأما الذى قرأ ذلك ﴿ وَقُولُوا للناسِ حُسْنَى ﴾ فإنه خالف بقراءته إياه كذلك قراءة أهل الإسلام . انظر (تفسير الطبرى ، ص ٢٩٥) .

(أتدخل بينا مسكونا بغير إذن ، ودخوله محرم عليك ؟) ثم أعدت (كررت) الدخول تكريرًا على (هو) لما فصل بين (الدخول) و (هو) كلام (هو : محرم عليك) فكان رفع كلمة(دخول) و (هو) كلام (هو : محرم عليك) فكان رفع كلمة (دخول) بالتكرير على (هو) .

والآخر : أن تجعل (هو) عمادًا [1] لما كانت الواو التى مع (هو) تقتضى أن يليها اسم لا فعل ولا مشتق من فعل .

فإن قال قائل : إن العرب إنما تجعل العماد فى الظَّنِّ لأنه ناصب ، وفى (كان) و(ليس) لأنهما يرفعان ، وفى إنّ وأخواتها لأنهن ينصبن ، ولا ينبغى للواو وهى لا تنصب ولا ترفع ولا تخفض أن يكون لها عماد .

قيل له : لم يوضع العماد على أن يكون لنصب أو لرفع أو الخفض ، إنما وُضِع فى كل موضع يبتدأ فيه بالاسم قبل الفعل [2] ، فإذا رأيت الواو فى موضع تطلب الاسم دون الفعل صَلَح فى ذلك العماد ، كقولك : « أتيت زيدًا وأبو قائم » فقبيح أن تقول: أتيت زيدًا وقائم أبوه » و « أتيت زيدًا ويقوم أبوه » ؛ لأن الواو تطلب الأب، فلما بدأت بالفعل وإنما تطلب الواو الاسم ، أدخلوا لها (هو) » [3] لذا يلزم أن تقول : « أتيت زيدًا وهو قائم أبوه » .

قَالَ الشَّاعِر [4] :

فَأَبْلغْ أَبَا يَحْيَى إذَا مَا لَقِيتَـهُ ... عَلَى العِيسِ فـــِي أبَاطِهَا عِرْقُ يَبْسُ

---

(١) العماد : هو الضمير المسمى عند البصريين : ضمير فصل ، وسمى ضمير فصل لأنه يفصل بين المبتدأ والخبر ، وبين الخبر والنعت ، ويسميه الكوفيون : (عمادًا) لأنه يُعتَمد عليه فى الفائدة ، إذ به يتبين أن الثانى خبر لا تابع ، وبعض الكوفيين يسميه: دعامة ؛ لأنه يدعم به الكلام ، أى: يقوى به ويؤكد .

(٢) المراد بقوله: الفعل فى هذا الموضع وما يليه : المشتق من الفعل أى : اسم الفاعل واسم المفعول .

(٣) الفراء ، معانى القرآن ، جـ١ ، ص٥١ ، طبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب .

(٤) الشعر غير معروف قائله .

والعيس : إبل بيض يخالطها شقرةٌ يسيرة ، وهى من كرائم الإبل وعرق يَابِس : عرق يابس فى آباطها من طول الرحلة .

السِّلامى : لعله رجل كان مصدقا وعاملا على الزكاة ، وأميرا على حمى الضرية .

وحمى الضرية : أرض طيبة مذكورة فى أسفار العرب ، وهى فى نجد ، على طريق البصرة إلى مكة، وهى إلى مكة أقرب .

وهو يقول إن ذلك الرجل (إن صدق التوقّع) باع حقه إلى بنى عبس بثوب ودينار ودرهم (أى أخذ منهم =

بأنّ السَّلاَمى الّذى بضَريّة أميرَ الحمىَ قدْ بَاعَ حَقّى بنــى عبْس
بثوب وَدينَار وشاة ودرْهَم فَهَلْ هُوَ مَرْفُــوعٌ بـــمَا هَاهُنَا رأس؟

فأتى الشاعر بـ(هو) قبل (هل) لأن هل تطلب الاسم دون الفعل : (أى المشتق منه) مع أن (هلْ) لا ترفع ولا تنصب ؛ وكذلك «ما» و « أما » نقول : « ما هو بذاهب أحد » و « أما هو فذاهب زيد » .

فى ضوء ما سبق نتبين موضع (هُوَ) فى قوله تعالى : ﴿وإن يَأْتُوكُمْ أُسَارَىٰ تُفَادُوهُمْ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إخْرَاجُهُمْ﴾ (١) إذ تكون (هو) قد أتت فى الآية كناية عن الإخراج الذى تقدم ذكره (٢) كأنه قال : ﴿ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِّنكُم مِّن دِيَارِهِمْ تَظَاهَرُونَ عَلَيْهِم بِالإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ ﴾ [البقرة: ٨٥] .

ونتبين موضع هو فى قوله تعالى :
﴿وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِ مِنَ الْعَذَابِ أَن يُعَمَّرَ﴾ (٣) .

-(٢٢)-

تأتى فى العربية استعمالات وأساليب تعبير ، ظاهرها يدل على أنها للحال والاستقبال ، وواقعها ـ مما يعرف تاريخا أو عقلا ـ يؤكد أنها للماضى . .

من ذلك قول الشاعر : (٤)

وَلَقَدْ أَمُرُّ على اللئيم يَسُبُّني فَمَضَيْتُ عَنْهُ وقُلْتُ : لاَ يَعْنِينى

فهو يريد أن يقول : (ولقد مررت) لكنه قال : ولقد أمرّ ، فعبرّ بما يدل علَى الحال أو الاستقبال وهو يريد الماضى ، ونحن نفهم ذلك من قوله : (فمضَيْتُ عنه)

=الرشوة) .

وقوله : فهل هو مرفوع بما هاهنا رأس : يعنى : هل نجد ناصرًا ينصرنا ويأخذ لنا حقنا ، فنرفع رءوسنا بعد ما نزل بنا من الضيم ؟

(١) الآية (٨٥) من سورة البقرة .

(٢) المقصود قوله تعالى : ﴿ لا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ وَلا تُخْرِجُونَ أَنفُسَكُم مِّن دِيَارِكُمْ ﴾ الآية (٨٤) .

(٣) الآية (٩٦) من سورة البقرة .

(٤) الشعر لرجل من بنى سلول ، وهو عند سيبويه ١: ٤١٦ و رفى الخزانة ١: ١٧٣ وشرح شواهد المغنى ١٠٧ وغيرها ، وهو عندهم : « فمضَيْتُ ثمت قلت: لا يعنينى » وبعده

غَضْبَان ممتلئًا علىّ إهابه إنى ـ وربك ـ سخطه يرضينى

فهو لم يقل : (فأمضى عنه) .

وأصحاب هذا الرأى ـ وهم البصريون ـ يقولون: إن (فَعَلَ) ، (يَفْعَلُ) قد تشتركان فى معنى واحد ، واستدلوا على ذلك بقول الشاعر [١] :

وإنّى لآتيكُمْ تَشكُّرُ مَا مَضَى ... منَ الأمْرِ ، واستيجابَ مَا كَانَ فِي غَدِ

وهو يعنى بـ(ما كان فى غد) أن يقول : (ما يكون فى غد) .

وأكدوا ما ذهبو إليه بقول الحطيئة [٢] :

شَهِدَ الحُطَيْئَةُ يَوْمَ يَلقَى رَبَّهُ ... أنّ الوليدَ أحَقُّ بالعُذْرِ

فقال الشاعر (شهد) وهو يقصد (يشهد) بدلالة (يوم يلقى ربّه)

ويقول الآخر [٣] :

فَمَا أُضْحِي وَلاَ أَمْسَيْتُ إلاَّ ... أَرَانِي مِنْكُمْ فِي كَوَّفَانِ

فقال: (أضحى) على الحال ثم قال: (ولا أمسيت) على الماضى .

وقال آخرون ـ هم بعض نحويى الكوفة ـ:إنه يجوز الخطاب بالمستقبل من الفعل ومعناه الماضى ، كما يعنف الرجلُ الرجُلَ على ما سلف منه من فعل فيقول له: ويحك ، لم تكذب ؟ ولم تبغض نفسك إلى الناس ؟ وهو يقصد ، « لم كذبت ؟ ولم بغضت نفسك إلى الناس ؟ واستشهدوا بقول الشاعر [٤] :

---

(١) هو الطرماح بن حكيم الطائى ، والشعر فى ديوانه : ١٤٦ ، وقبله :

مَنْ كان لا يأتيكَ إلاّ لحاجة ... يَرُوحُ بها فيما يَرُوحُ ويغتدى

فإنى لآتيكم ....

(٢) البيت فى ديوانه : ٨٥ ، وفى غيره كثير ، وهو من شعر قاله الحطيئة فى الوليد بن عقبة بن أبى مُعَيْط ، وكان من رجالات قريش همة وسخاء ، استعمله أبو بكر وعمر وعثمان ، فلما كان زمن عثمان رفعوا عليه أنه شرب الخمر ، فعزله عثمان ، وجلده الحد ، فقال الحطيئة يعذره ويمدحه :

شهد الحطيئة حين يلقى ربـه ... أن الوليد أحـق بالـعذر

خلعوا عنانك إذ جَرَيت ، ولـو ... تركوا عنانك لم تزل تجرى

ورأوا شمـائل مـاجد أنف ... يعطى على الميسور والعسر

فَنَزَعتُ مكذوبا عـليك، ولَـمْ ... تُرْدَدْ إلى عـوَز ولا فـقر

(٣) قائل البيت غير معروف ، وقد ذكره فى لسان العرب ،مادة (كوف) ، والكُوَّفان (بالواو المشددة) : الاختلاط والعناء والشدة ، يقال : أنا منه فى كوّفان : أى : فى عنت ودوران واختلاط .

(٤) قائله : هو زائدة بن صعصعة الفَقْعَسِيّ ، يُعرض بزوجته ، وكانت أمها سريّة ـ (كما ذكر ذلك (الأمير فى حاشية المغنى ، وقبل هذا البيت يقول لامرأته : =

إذَا ما انْتَسَبْنَا لَمْ تَلِدْ فِى لئيمَةٌ وَلَمْ تَجِدِى من أن تُقرِّى به بُدًّا

والشرط فى شعره يقتضى جزاء لا يكون إلا فى المستقبل ، والولادة التى يفاخر بها قد حدثت فى الماضى .

نتأمل هذا المنحى من كلام العرب ، ونحن نتلو قول الله تعالى :

﴿ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِيَاءَ اللَّهِ مِن قَبْلُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ (١) .

فابتداء الخطاب بلفظ المستقبل (تقتلون) وبقيته تدل على المضى (من قَبْلُ) فهذا ـ وهو خطاب الله تعالى إلى العرب بلغتهم ـ يجرى على ما سبق ذكره من أساليب كلامهم وتعبيرهم ، وليس الذين خوطبوا بقتل الأنبياء هم القتلة ، وإنما أسلافهم هم الذين قتلوا أنبياء الله ، فلما تولاهم المخاطبون ورضوا ما فعله آباؤهم خوطبوا به .

ـ (٢٣) ـ

يقع الاختلاف بين علماء العربية فى حقيقة بعض الصيغ : أمصدر تلك الصيغة أم اسم؟ .

ومما وقع فيه الخلاف من ذلك : « البأساء »و«الضراء»وكلتاهما صيغة (فعلاء) :

قال بعضهم :

البأساء والضراء مصدر جاء على « فعلاء ، ليس له أفعل لأنه اسم ، كما قد جاء « أفعل » فى الأسماء ليس له « فعلاء » نحو « أحمد » ، وقد قالوا فى الصفة «أفعل» ولم يجئ له «فعلاء»، فقالوا»: أنت من ذلك أو جل ، ولم يقولوا : «وجلاء» .

وقال بعضهم :

هو اسم للفعل . فإن « البأساء » : البؤس ، و« الضراء » : الضر . وهم اسم يقع إن شئت لمؤنث ، وإن شئت لمذكر ، كما قال الشاعر (٢) :

= رَمَيْتِنِى عَنْ قَوْسِ العَدُوِّ ، وَبَاعَدَتْ عُبَيْدَةُ ، زَادَ اللَّهُ ما بيننا بُعْدَا

إذا ما انتسبنا . . . .

(١) الآية (٩١) : من سورة البقرة .

(٢) هو زهير بن أبى سلم ، والشعر فى ديوانه : ٢٠ ، من معلقته الشهيرة ، ضمن أبيات يحذر فيها من الحرب ، فقال قبل الشاهد :

وما الحرب إلا ما علمتمْ وذقْتُمُ وما هو عنها بالحديث المرجّم

متى تبعثوها ، تبعثوها ذميمــة وتَضْرَ ، إذا ضريتموها ، فتَضْرَم

فتعرككم عرك الرحا بثفالهـــا وتلقح كشافًا ثم تـنتج فتتئم

فتنتج لكم غلمان أشأم ، كلهم   كأحمر عادٍ ، ثم ترْضِع فتفطم

يعنى : فتنتج لكم غلمان شؤم .

وقال بعضهم :

لو كان ذلك اسمًا يجوز صرفه إلى مذكر ومؤنث ، الجارِ إجراء « أفعل » فى النكرة ، ولكنه اسم قام مقام المصدر . والدليل على ذلك قوله : « لئن طلبت نصرتهم لتجدنهم غير أبعد » [1] بغير إجراء ، وقال : إنما كان اسما للمصدر ، لأنه إذ ذكر علم أنه يراد به المصدر .

وقال آخر :

لو كان ذلك مصدرًا فوقع بتأنيث ، لم يقع بتذكير ، ولو وقع بتذكير لم يقع بتأنيث ؛ لأن من سمى د « أفعل » لم يُصْرف إلى « فُعْلى » ، ومن سمّى بـ « فعلى» لم يصرف إلى « أفعل » ؛ لأن كل اسم يبقى بهيئته لا يصرف إلى غيره ، ولكنهما لغتان : فإذا وقع بالتذكير (أى: أريد به التذكير) كان : بأمر أشأم ، وإذا وقع (أى بالتأنيث) البأساء والضراء ، وقع (أى أريد به) الخلة البأساء ، والخلة الضراء وإن كان لم يُبْنَ على « الضراء » « الأضر » ، ولا على « الأشأم» ، « الشأماء » لأنه لم يرد من تأنيثه التذكير ، ولا من تذكيره التأنيث ، كما قالوا : « امرأة حسناء » ولم يقولوا : « رَجُلٌ أحْسَنُ » ، وقالوا : « رجل أمرد » ، ولم يقولوا : « امرأة مرداء » فإذا قيل : « الخصلة الضراء » و « الأمر الأشأم » دل على المصدر ، ولم يحتج إلى أن يكون اسما ، وإن كان قد كفى المصدر .

نتابع وجوه اختلاف علماء العربية حول بعض الصيغ مثل فعلاء ، ونحن نتلو قول الله تعالى :

﴿وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ﴾ [2] .

ونتابع قول الطبرى عند تفسير هذه الآية ، إذ يقول :

وهذا (يقصد القول الأخير) قول مخالف تأويل من ذكرنا تأويله من أهل العلم فى تأويل « البأساء والضراء » ؛ وإن كان صحيحا على مذهب العربية . وذلك أن

(١) يقال : « فلان غير أبعد » أى لا خير فيه ، ويقال : « ما عند فلان أبعد » أى لا طائل عنده . قال رجل لابنه : « إن غدوت على المربد ربحت عنا ، أو رجعت بغير أبعد ، أى بغير منفعة .

(٢) الآية (١٧٧) من سورة البقرة .

أهل التأويل تأولوا « البأساء » بمعنى : البؤس ، و « الضراء » بمعنى : الضر فى الجسد ، وذلك من تأويلهم مبنى على أنهم وجهوا « البأساء والضراء » إلى أسماء الأفعال دون صفات الأسماء ونعوتها . فالذى هو أولى بـ « البأساء والضراء ، على قول أهل التأويل : أن تكون « البأساء والضراء ، أسماء أفعال ، فتكون « البأساء» اسما « للبؤس » و « الضراء » اسما « للضر » [1] .

ـ (٢٤) ـ

إذا قلت : يسألوننى : ماذا تقرأ ؟ وهل غير القرآن من أنيس » ففى قولك (ماذا) من العبارة السابقة آراء من حيث موقعها الإعرابى .

أحد هذه الآراء :

أن تكون (ماذا) بمعنى : أى شىء ؟ فكأن الكلام : يسألوننى أى شىء تقرأ ؟ فيكون موقع (ماذا) النصب ، لأن (ماذا) تسأل عن المقروء ، والإجابة عنها تكون بذكر المقروء .

والرأى الآخر :

أن يكون (ذا) فى كلمة (ماذا) بمعنى : الذى ، فيكون معنى الكلام : ما الذى تقرأ ؟ وعندئذ ترفع (ما) بـ (ذا) كما ترفع (ذا) بـ (ما) ، وتكون كلمة (تقرأ) والفاعل المستتر وجوبا (أنت) والعائد المحذوف (الهاء منْ تقرؤُه) : صلة لـ (ذا) .

وهذا معروف فى كلام العرب ، فهم قد يجعلون (ذا) و (هذا) من الموصولات، ومن ذلك قول الشاعر [2] :

عَدَسْ ! مَا لعباد عليك إمَارَةٌ أمِنْت ، وهَذَا تَحْملينَ طَلِيقُ

فتكون جملة (تحملين) صله لـ(هَذَا) . وكأن المعنى: (والذى تحملين طليق) .

والرأى الثالث :

أن تكون (ماذا) بمعنى أى شىء ؟ وتكون على هذه الرأى مرفوعة وإن كان

---

(١) الطبرى ، تفسيره ، مرجع سابق ، م٣ ، ص ٣٥٢ .

(٢) هو يزيد بن مفرغ الحميرى ، وكانت له قصة مع عباد بن زياد بن أبى سفيان وكان معاوية ولاه سجستان ، فاستصحب معه يزيد بن مفرغ ، فاشتغل عباد عن يزيد من مفرغ بحرب الترك ، واستبطأ ابن مفرغ جائزة عباد واغتاظ منه ، فبسط لسانه فيه ، فعرف عباد ما أراده يزيد ، فطلبه ، ففر منه ، وهجا معاوية باستلحاق زياد بن أبى سفيان ، فعذبه عبيد الله بن زياد أخو عباد عذابا قبيحا ، وأرسله إلى عباد، ثم أمرهما معاوية بإطلاقه ، فلما انطلق على بغلة البريد قال هذا الشعر . وعدس : زجر للبغلة ، حتى صارت كلمة بغلة فسمى عَدَسْ .

قولك تقرأ (فى المثال المذكور فى أول الكلام) متعديا إلى ماذا ، وإنما استحق الرفع لأن (تقرأ) لا يصح تقديمها على (ماذا) ، فلا يصلح أن تقول : « تقرأ مَاذا » لأن اسم الاستفهام له الصدارة ،ولا يجوز فى الاستفهام تقديم الفعل على حرف الاستفهام أو اسم الاستفهام .

وعملاً بهذا الرأى الأخير قال الشاعر (١) :

أَلاَ تَسْألاَنِ المرْأَ مَاذَا يُحاوِلُ؟ أَنَحْبٌ فَيُقْضَى ، أَمْ ضَلاَلٌ وَبَاطِلٌ ؟

فرفع (نحب) وهو مردود على (ما) فى (ماذا) قول ذلك على أن (ذا) بمعنى الذى ، وما بعده صلته فلا يعمل فيما قبله ، (ولو أنه قال : أنحبًا فيقضى أم ضلالاً وباطلاً كان أبين فى كلام العرب ؟) (٢) .

ويشبه الاستفهام فى جواز الرفع كلمة (كُلّ) فى مثل : (كلٌّ الطعام أكلتُ) وذلك أن (كل) تتضمن معنى هل من الطعام إلا أكلت ، ومعنى . أى شىء من الطعام لم آكل ؟ ، ألا ترى مثلا إذا قلت : كلُّ الناس شكرتُ كان فيها معنى : ما منهم أحد إلا قد شكرتُ ، ومعنى . أيهم لم أشكر ؟

بهذا جاء قول الشاعر (٣) :

وَقَالوا: تَعَرَّفْهَا المنازِلَ من منًى ! وَمَا كُلُّ مَنْ يَغْشى منيّ أنا عَارِفُ

فجاءت (كُلُّ) مرفوعة ، ولم تُنْصَبْ بـ (عارف) ، لأن (عارف) لم يتقدم عليه، ولو قال : (وما أنا عارفٌ كلَّ من يغشى منى) لنصب (كل) .

نلحظ وجوه الإعراب المتعددة لـ (ما) فى (ماذا) ونحن نقرأ قوله تعالى : ﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلْ مَا أَنفَقْتُم مِّنْ خَيْرٍ﴾ (٤) ونحن نقرأ رأى المفسرين لها ، يسألك أصحابك يا محمد: أى شىء ينفقون من أموالهم(٥) ، فنوجه الإعراب (الذى

(١) هو لبيد بن ربيعة ، والشعر فى ديوانه ٢/ ٢٧ القصيدة ٤٧ ، وفيها يقول :

ألا كلّ شىء ما خلا الله باطل وكل نعيم لا محالة زائلُ

(٢) الفراء ، معانى القرآن ، مرجع سابق ، جـ١ ، ص١٣٩ .

(٣) هو مزاحم العقيلى ، والشعر فى ديوانه : ٢٨ ، وهو يقول فى البيت : قالوا لى : تعرف صاحبتك بالمنازل من منى ، فقلت : لا أعرف أحدًا يعرفها ممن يغشىَ منى فاسأله .

(٤) الآية : (٢١٥) من سورة البقرة .

(٥) الطبرى ، تفسيره ، مرجع سابق ، م٤ ص ٢٩١ .

هو فرع المعنى) إلى التفسير المرتضى للآية

-(٢٥)-

تتقارب بعض الكلمات ، وتتداخل معانيها ، فيشكل على البعض الفروق التى بينها فى أوجه الاستعمال . .

من ذلك أسماء الاستفهام : « أنّى » و « أينَ» و « كيف » ، أشكل على بعض المتكلمين ما بينهما من فروق ، فجعل بعضهم (أنَّى) بمعنى (أين) ، وجعلها بعضهم بمعنى (كيف) ، وجعلها آخرون بمعنى (متى) وهى فى الواقع مخالفة ذلك جميعه . ولذلك بيان :

أما (أين) فهى للاستفهام عن الأماكن ، فإذا سألت : أين مالك ؟ لأجابك المسئول : بمكان كذا، ولو قلت: فأين أخوك ؟ كان جوابه ببلدة كذا، أو بمحل كذا ، فيكون السؤال بأين عن المحال، وتكون الإجابة بذكر محل ما كان السؤال عن محله .

وأما (كيف) فهى للسؤال عن الحال ، فإذا سئلت : « كيف حالك ؟) كان جوابك : صالح ، أو بخير ، أو بعافية والحمد لله تعالى .

وأما (أنّى) فهى سؤال عن وصف يذكر قولاً ، أو فعلا ، ومثاله فى القول ، قوله تعالى :﴿ يَا مَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا ؟ ﴾ [آل عمران: ٣٧] قالت: ﴿ هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ ﴾ ومثاله فى الفعل قوله تعالى: ﴿ أَنَّىٰ يُحْيِي هَٰذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا ﴾ [البقرة: ٢٥٩] فأماته الله مائة عام ثم بعثه .

وقد فرق الشعراء بين تلك الأسماء فى أشعارهم ، فقال قائلهم [1] :

تَذَكّرَ مِنْ أنّى وَمِنْ أَيْنَ شُرْبُهُ   يُؤَامِرُ نَفْسَيْهِ كذى الهَجْمَةِ الأَبْلِ

(١) ذكر الطبرى أنه الكميت بن زيد ، وقال محمود شاكر : لم أجد شعر الكميت ، ولكنى أرجح أن هذا البيت من أبيات فى حمار وحش ، قد أخذ أتنه (وهى إنائه) ليرد بها ماءً ، فوقف فى موضع عين قديمة كان شرب منها، فهو متردد فى موقفه ، فشبهه براعى الإبل الكثيرة ، إذا كان خبيراً برعيتها ، فوقف بها ينظر أين يسلك إلى الماء والمرعى ؟ .

والهجمة : القطعة الضخمة من الإبل ، من السبعين إلى المئة .

والأبْل : الحاذق بمصلحة الإبل والقيام عليها .

وقد جعل نفسه نفسين ، فقال (يؤامر نفسيه) ؛ لأن النفس تأمر المرأ بالشىء وتنهاه عنه ، وذلك فى كل أمر مكروه أو مخوف ، وقد بين ذلك الممزق العبرى فقال :

ألا من لعين قد نآها حميمهـا   وأرقني ، بعد المنام ، همومهـا
فباتت له نفسان شتى همومها   فنفس تعزيها ، ونفس تلومها

فقال: (من أنى) و (من أين) ، ولو كانا شيئا واحدًا ما كان هناك مبرر للتكرير.
وقال أيضا (١) :

أَنَّى وَمِنْ أَيْنَ ـ آبَكَ ـ الطَّرَبُ ... مِنْ حَيْثُ لاَ صَبْوَةٌ وَلاَ رِيبُ

فجاء بـ (أنى) للمسألة عن الوجه ، وبـ (أين) للمسألة عن المكان ، فكأنما هو يسأل ، من أى وجه ، ومن أى موضع راجعك الطرب ؟

نلحظ هذا الفروق ، ونحن نتلو قوله تعالى :

﴿ نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُم ﴾ .

فنرفض تأويل من تأول (أنى) على غير التأويل الصحيح فقال : هى بمعنى : كيف شئتم ؟ . أو قال : هى بمعنى : أَيْنَ شِئتم ؟ نَرْفض ذلك لعلمنا أنه لو قال أحدهم للآخر : أنّى تأتى أهلك ؟ لكان جوابه ؛ من قبلها . أو : من دبرها .

ونرضى التفسير القائل بأن معنى قوله تعالى : ﴿ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ ﴾ [البقرة: ٢٢٣] ؟ إنما هو : فأتوا حرثكم من حيث شئتم من وجوه المأتى ، قول من قال : إنها دليل على إباحة إتيان النساء فى الأدبار .

ـ(٢٦)ـ

القول فى (حتّى) يطول ويتفرع :

فهى تكون : (عاطفة) و (جارةً) و (ابتدائية) .

ولها مع الأفعال أوجه ، ومع الأسماء أوجه أخرى .

ولـ « حتّى » ثلاثة معان فى (يَفْعل) أى : فى الفعل المضارع . .

ولـ « حتّى » ـ كذلك ـ ثلاثة معان فى الأسماء . .

* فأما مع (يفعل أى الفعل المضارع) :

*** فالمعنى الأول (أو الوجه الأول) :**

إذا رأيت قبلها (فَعَل) أى فعلا ماضيا على وزن فعل ، ويعدها (يفعل) أى فعلا

---

(١) وهذا أيضا من شعر الكميت بن زيد الأسدى ، من الهاشميات : ٣١ .

وقوله : آبك ـ كلمة معترضة بين قولين ، وهى بمعنى (ويلك) فقال لمن تنصحه ولا يقبل ، ثم يقع له ما حذرته منه ، كأنه دعاء عليه بمعنى : أبعدك الله وقد فسّرها شاعر من بنى عقيل فقال :

أَخَبَرْتَنى يَا قَلْبُ أَنَكَ ذُو غَرِي ... بليلى ؟ فَذُقْ ما كنت قَبْلُ تَقُولُ
فآبك ! هَلا والليالى بِغِرَةٍ ... تُلِم ، وفى الأيام عَنْكَ غُفُولُ

مضارعًا على هذا الوزن ، وكان الفعل المضارع فى معنى الماضى ، وليس الماضى الذى قبل حتى مما يطول (أى يمتد فى الزمان) فارفع المضارع الذى بعد حتّى كقولك: (جِئْتُ حَتَّى أَكُونُ قَرِيبًا منكَ) .

وكان أكثر النحويين ينصبون الفعل بعد « حَتَّى » وإن كان ماضيًا إذا كان لغير الأول ، فيقولون : سِرْتُ حَتّى يَدْخُلَها زيدٌ ، فزعم الكسائى أنه سمع العرب تقول : سِرنَا حتى تَطْلُعُ لَنَا الشَمْسُ بِزبَالَةَ (١) فرفع ، والفعل للشمس ، وسمع ، إنّا لجلوسٌ فما نَشْعُرُ حَتى يَسْقُطُ حجرٌ بيننا) مرفعًا قال :

وأنشدنى الكسائى :

وَقَدْ خُضْنَ الهَجِيرَ وعُمْنَ حَتَّى ... يُفَرِّجُ ذَاكَ عَنْهُنّ المسَاءُ

فرفع (يفرجُ) بعد حتى.

* **والمعنى الثانى : (أو الوجه الثانى)** : (فى المضارع مع حتى) :

فيمثله قول الشاعر :

وَنُنْكِرُ يَوْمَ الرَّوْعِ ألوانَ خَيْلنَا ... منَ الطَّعْنِ حَتّى نَحْسبَ الجَوْنَ أَشْقَرَا (٢)

فقد نصب الفعل (نحسبَ) بعد (حتى) ، وذلك ما يشرح الوجه الثانى أو المعنى الثانى وهو :

أن يكون ما قبل حتى وما بعدها فعلين ماضيين ، وهما مما يتطاول (أى يستمر الفعل أو يتكرر) فيكون (يفعل) : أى الفعل المضارع وهو ماضٍ فى المعنى أحسن من (فعل) : أى صيغة الفعل الماضى ، قال الكسائى : سمعت العرب تقول : « إن البعير ليهرم حتّى يَجْعَلَ إذا شَرِبَ المَاءَ مَجَّهُ ، وهم قد نُصبوا (يجعلَ) وهو أمر قد مضَى ، ومجيء (يَجْعَل) فيه أحسن من (جَعَلَ) لأنها صفة تكون فى الواحد على معنى الجميع ، إذ إن معناه : إنّ هذا ليكون كثيرًا فى الإبل . ومثله أن يقال : إن الرجل ليتعظم حتى يمرَّ فلا يسلم على الناس ، فنصب (يمرّ) لحسن مجيئه على صيغة

---

(١) زُبالة وزن ثُمالة ، منزلة من منازل طريق مكة من الكوفة .

(٢) الشعر للنابغة الجعدي ، من قصيدة يمدح فيها الرسول ﷺ ومطلعها :

خليلى عُوجَا سَاعة وتَهجّرا ... ولُومَا عَلَى ما أَحْدَثَ الدَّهْرُ أو ذَرَا

وقال فيها قبل الشاهد :

وَإنّا لَقَوْمٌ مَا نَعُودُ خَيْلَنَا ... إذَا ما الْتَقَيْنَا أنْ تَحيدَ وتَنْفرَا

المضارع ، وهو ماض فى المعنى ، وقد قال الشاعر :

أُحِبُّ لِحُبِّها السُّودَانَ حَتَى   أُحِبَّ لِحُبِّهَا سُودَ الكلابِ

فنَصب الفعلَ (أحبَّ) الذى يعد (حتَى) وهوَ ماض فى المعنى ، ولو رفَعَهُ فقال : (حتى أحبُّ) لكان صوابًا لكونه ماضيا فى المعنى ، وقد أنشده بعض بنى أسد رَفْعًا] .

فإذا أدخلت (لا) فى الكلام كان رفع المضارع ونصبه سواءً ، تقول : إن الرجلَ ليصادقُك حتى لا يكتُمُكَ سرًا) ترفع (يكتم) لدخول (لا) إذا كان معنى الفعل ماضيا، والنصب مع دخول (لا) جائز .

فإذا حذفت (لا) لم يكن إلاّ منصوبًا ، وذلك أن (ليس) تصلح مكان (لا) عند من رفع بعد (حتى) ومن رفع بعد (أنْ) ، ألا ترى أنك تقول : (إنه ليؤاخيك حتى ليس يكتمك شيئا) برفع (يكتم) ، وقد كان القول: (إنه ليؤاخيك حتى لا يكتمك شيئا) ، وتقول : حَسِبْتُ أن لسْتَ تذهبُ فتخلفت) فى مكان حسبت أن لا تذهب فتخلفت) .

وكل موضع حَسُنَ فيه وضع (ليس) مكان (لا) فأنت مخير بين الرفع والنصب، ولو رفعت الفعل بعد (أنْ) بغير (لا) لكان صوابا ؛ كقولك : (حسبتُ أنْ تَقُولُ ذاك) برفع الفعل (تقولُ) ؛ لأن الهاء يحسن دخولها فى (أن) ، فتقول : حَسِبْتُ أنّه يقول: ذاك .

فإذا كانت (لا) لا تصلح مكان (ليس) لا مع (حتى) ، ولا مع (أن) فليس هناك وجه إلا النصب ، ومثال ذلك قولك فى (حتى) : (لا أبرحُ حتى أُحْكِمَ أمرك) بنصب (أحكم) وقولك فى (أنْ) : (أردتُ أن لا تقول: ذاك) بنصب (تقول) .

*** والمعنى الثالث (أو الوجه الثالث) : (فى المضارع مع حتى) :**

أن يكون الفعل الذى بعد حتى مستقبلاً (دون أن تلتفت إلى الفعل الذى قبلها ماضيا كان أم مضارعاً) فعندئذ لايجوز إلا النصب ، كأن تقول : (لن أنام حتى يطلع الفجر) ينصب (يطلع) .

وقبل أن أنتقل إلى وجوه (حتى) مع الأسماء ، أذكر الشواهد على الأحكام السابقة مما نقرأ من القرآن الكريم :

* فى قوله تعالى: ﴿وَزُلْزِلُوا حَتَّىٰ يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَىٰ نَصْرُ اللَّهِ﴾(١).

قرأ القراء (يقول) بالنصب إلاّ مجاهدًا ونافعًا فإنهما رفعاها .

ـ فأما نَصْبُها عند عامة القُراء ؛ فلأن الفعل الذى قبلها يتطاول أىْ أن فيه امتداد الفعل ؛ لأن أصل الزلزلة فى اللغة من : زَلّ الشىء عن مكانه ، فإذا قلت : زلزلته، فمعناه أنك كررت تلك الإزالة ، فضوعف لفظه (زَلْ زَلَ) لمضاعفة معناه ، لأن ما فيه تكرير متكرر فيه الفعل نحو (صَرَّ ، صَرْصَرَ) و (صَلّ ، صَلْصَلَ) و(كفَّ، كفكف) .

ـ وأما رفعها (عند مجاهد ونافع) ، فلأن (الفعل الماضى) يحسن فى مثل هذا السياق من الكلام ، كأنك تقول : ﴿ وَزُلْزِلُوا حَتَّىٰ يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَىٰ نَصْرُ اللَّهِ ﴾ .

وقد كان الكسائى قرأ برفع (يقول) زمنا ، ثم رجع إلى نَصْبِها ، (وهى فى قراءة عبد الله : « وزلزلوا ثم زلزلوا ويقول الرسول » وهو دليل معنى النصب)(٢) .

* وفى قوله تعالى : ﴿وَحَسِبُوا أَلاَّ تَكُونَ فِتْنَةٌ﴾ (٣) جاز النَّصبُ للفعل (تكون) وجاز (الرفع كذلك(٤) ، وذلك لأن (ليس) تصلح مكان (لا) كما سبق أن ذكرت .

وكذلك الشأن فى قوله تعالى : ﴿ أَفَلا يَرَوْنَ أَلاَّ يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلاً وَلا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلا نَفْعًا﴾ (٥) جاز فى القراءة أن ترفع (يرجع) أو تنصبها .

* وفى قوله تعالى : ﴿لَن نَّبْرَحَ عَلَيْهِ عَاكِفِينَ حَتَّىٰ يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَىٰ﴾ (٦) ليس لك إلا أن تنصب (يرجع) لأن ما بعد (حتى) يقع مستقبلا .

وكذلك الشأن فى قوله تعالى : ﴿ فَلَنْ أَبْرَحَ الأَرْضَ حَتَّىٰ يَأْذَنَ لِي أَبِي أَوْ يَحْكُمَ اللَّهُ

---

(١) الآية (٢١٤) من سورة البقرة .

(٢) الفراء ، معانى القرآن ، مرجع سابق ، جـ١ ، ص ١٣٣ .

(٣) الآية :(١٧) من سورة المائدة .

(٤) قرأ بالرفع أبو عمرو ، وحمزة ، والكسائى ، ويعقوب ، على أن (أنْ) المخففة من الثقيلة . وقرأ الباقون بالنصب .

(٥) الآية (٨٩) من سورة طه ، والرفع هو قراءة الجمهور . وهو الوجه الصواب ، وورد النصب فى قراءة أبى حيوة وغيره ، وهى قراءة شاذة .

(٦) الآية : (٩١) من سورة طه .

لِي﴾ (١) ، ليس لك إلا أن تنصب (يأذن) لأن ما بعد (حتى) يقع مستقبلا كذلك .

* * * * *

أما وُجُوهُ (معانى) الثلاثة مَع حَتى فكالآتى :

الوجه الأول :

فإن تجد فى الكلام بعد (حتى) اسمًا ، وليس قبلها شىء يشاكله ، يصلح أن تعطف عليه ما بعد حتى .

أو تجد بعد (حتى) اسمًا وليس قبلها شىء

فالوجه فى الحالين السابقين أن يكون ما بعد (حتى) مجرورًا ، مثال ذلك من القرآن الكريم قوله تعالى : ﴿ تَمَتَّعُوا حَتَّىٰ حِينٍ ﴾ (٢) ، وقوله تعالى : ﴿سَلَامٌ هِيَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ الْفَجْرِ ﴾ (٣) لا تكون القراءة فى الموضعين إلا بجر ما بعد (حتى) ، لأنه ليس قبلهما اسم يعطف عليه ما بعد (حتى) ، فاعتبرت (حتى) بمعنى (إلى) وكانت لتحديد الغاية .

والوجه الثانى :

أن يكون ما قبل (حتى) عددًا كثيرًا ، ثم يأتى بعدها الاسم الواحد أو القليل من الأسماء ، كقولك : (قد عوتب القوم حتى كبيرهم) فإذا كان الكلام كذلك ، فانظر إلى الأسماء التى بعد (حتى) فإن وجدتها قد وقع عليها ما يوجب الرفع أو الجر أو النصب مثلما وقع على الأسماء التى قبلها فلك فى ذلك **وجهان** :

أحدهما : أن تجر ما بعد (حتى) فتقول: (كبيرِهم)

والآخر : أن تجعل ما بعد (حتى) تابعا فى الإعراب لما قبلها، فتقول: (كبيرُهم).

وهذا (الكبير) فى كلا الوجهين مفعول به قد وقع عليه العتاب .

والوجه الثالث :

أن يكون ما بعد (حتى) لم يصبه شىء مما أصاب ما قبل (حتى) ، فالوجه فى مثل هذا هو الجرُّ فقط لا يجوز غيره ، مثال ذلك قولك : (هو يصومُ النهارَ حتى الليلِ) فلا تنطق (الليل) إلا مجرورة ، إذ الليل مما لا يشمله الصوم ، وكذلك فى قولك: (أكلت السمكة حتى رأسِها) يجر كلمة (رأس) إذا لم تكن قد أكلت الرأس.

---

(١) الآية (٨٠) من سورة يوسف . (٢) الآية (٤٣) من سورة الذاريات .

(٣) الآية (٥) من سورة القدر .

وأما قول الشاعر (١) :

فيَاعَجَبًا حتَّى كليبٌ تَسبُّنى كَأنَّ أَبَاهَا نَهْشَلٌ أَوْ مُجَاشِعُ

فرفع كلمة (كليب) فيه جيد وإن لم يسبقه اسم ، لأن الأسماء التى تصلح بعد حتى منفردة إنما تكون من المواقيت ، كقولك : أقم حتى الليلِ ، ولا تقول : اضرب حتى زيدٍ ؛ لأن (زيدًا) ليس بوقت .

ـ(٢٧)ـ

إذا قضيت الصيف فى مكة قلت : صيفت فى مكة .

وإذا قضيت الشتاء فى المدينه قلت : شتيت فى المدينة .

فإذا قضيت فى أى البلدين سنة كاملة كان لك أن تقول . . أسْنَيْتُ فى مكة ، أو فى المدينة ، ولك أن تقول : تسنيت فى مكة أو تسنّهْت فى المدينة .

ومرجع ذلك كلّه ، إلى ما أخذ منه وهو السَّنَة .

فمن قال : تَسَنّيْتُ تَسَنّيًا احتج فى ذلك بأن سنة تجمع على « سنوات » (بمراعاة أن أصلها (سَنَوٌ) حذفت الواو التى هى لام الكلمة ، وعوضت هاءً فصَارت (سنة) فإذا جُمعَتْ ، جُمعت برد الحرف المحذوف إلى مكانه : سَنَوٌ ، سنوان) وعليه يكون تَفَعّلْتُ : تَسَنّيتُ صحيحا . ومن جعل تصغير « سنة » « سنينة » جاز أن يقول: تسنيْتُ كذلك لأن الأصل (تَسَنَّنت) ، فلما كثرتْ النونات فأبدلت (النون) (ياء) كما قالوا : تظنيْت ، وأصلها (تظننتُ) من (الظن) فكثرت النونات فأبدلت النون ياء .

ومن جعل تصغير (سنة)(سُنَيْهة)و(سُنَيّة)قال(أسنهتُ)(وأسنيت)أى أقمت سنة .

وإذا مرت السنة أو السنون على الشىء ولم يتغير قيل عنه : لم يتسَنّه ، على لغة من قال : (أسْنَهت عندكم) إذا أقام سنة ، كما قال الشاعر (١) يصف نحلة :

---

(١) البيت من قصيدة للفرزدق يهجو فيها جريرًا ، وكليب قوم جرير ، ونهشل ومجاشع رهط الفرزدق فهو من مجاشع .

(٢) هو سويد بن صامت الأنصارى ، وقيل : هو أحيحة بن الجلاح ، وكان عليه دين فطولب به فلم يقدر على سداده ، فاستعان بقومه ليسلفوه ليسد الدين ثم يقضيهم من ثمار نخلة فلم يستجيبوا ، فوصف لهم النخل الذى هو أصول حاله ، وهو كاف للسداد ، وقال عن النخلة أنها ليسن بسَهناء : أى ليست نخلة تثمر عاما ولا تثمر العام الآخر (وهذا عيب فى النحل) كما أنها ليست رجبية : أى ليست ضعيفة تسند بإقامة بناء حول جذعها حتى لا تسقط ، ومدح النخلة بأن ثمرها يوهب (كرما منه وجودًا) عرية للمحتاجين فى السنين الشداد .

وليْسَتْ بِسَهّناء ولا رُجْبِيّة ولكنْ عَرَايَا فى السّنِينَ الجَوَائِحِ

فهو بقوله: (سهناء) قد أثبت الهاء ، وجعلها أصلا فى كلمة (السنة) .

وقد وقع الخلاف فى التعبير عن الشىء لم يتغير وقد مرت عليه السنة أو السنون:

هل يقال : لم يَتَسَنّ ، بحذف الهاء .

أم يقال : لم يتسنه ، بإثبات الهاء؟ .

نراعى كل ما سبق ونحن نقرأ قول الله تعالى ، خطابا إلى الذى مر على قرية وهى خاوية عروشها . . . ﴿فَانظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ﴾ [١] ، أى لم يتغير بمرور السنين عليه .

قال الطبرى[٢] ـ رحمه الله ـ « والصواب من القراءة عندى فى ذلك إثبات (الهاء) فى الوصل والوقف ؛ لأنها مثبتة فى مصحف المسلمين ، ولإثباتها وجه صحيح فى كلتا الحالتين فى ذلك » . . . وغير جائز حذف حرف من كتاب الله ـ فى حال وقف أو وصل ـ لإثباته وجه معروف فى كلامها » (أى كلام العرب).

ـ(٢٨)ـ

فى لغة العرب ـ وانطلاقًا من اختلاف لغات القبائل ـ نجد اختلاف الصيغة والدلالة .

كما نجد فى كتب النحويين وآرائهم الاختلاف حول توجيه هذه الصيغة أو تلك، أو الاختلاف فى توجيه دلالتها ، أو أصل اشتقاقها .

فمن العرب من يقول : « صُرْ وجْهك إلى » يعنى : أقبل بوجهك إلى وتكون (صَارَ يَصُورُ) ومنها الأمر (صُرْ) بمعنى أقبل علَى .

ومن العرب من يجعل : (صار يَصُورُ) بمعنى: قَطَعَ يَقْطعُ ، ويكون الأمر (صُرُ)

---

(١) الآية (٢٥٩) من سورة البقرة .

(٢) الطبرى ، تفسيره ، مرجع سابق ، م٥ ، ص ٤٦١ ، ٤٦٢ .

بمعنى (اقطع) أو (قطع) ، وعليه قول الشاعر (١) :

فَمَدّتْ لى الأسبابَ حتى بَلَغْتُها   برِفْقِى ، وقد كاد ارتقائى يصورها

ويصورها فى البيت بمعنى : يقطعها

ومن القرب من يجعل (صَارَ يَصيرُ صَيْرًا) بمعنى : (مال يميل مَيْلاً) وهم يقولون فى إمالة الشيء (صارَة ، وهو يصيره صيرًا) ويقولون : (صِرْ وَجْهَكَ إلىّ) بكسر الصاد ، و(صُرْ وجهك) بضم الصاد : بمعنى أمل وجهك إليهَ ، وعليه قول الشاعر:

وفَرْعٍ يَصيرُ الجيدُ وَحْف كَأَنَّه   عَلَى اللّيتِ قِنْوَانُ الكرومِ الدوالح (٢)

يعنى بقوله : (يَصير) فى البيت: (يُميل) .

ومن العرب من يقول : (صُرتُ إلى هذا الأمر) أصورُ صَوَرًا) إذا مال إليه ، ويُقَال : (إنىّ إليكمْ لأصْوَرُ) أى ، مشتاق مائل ، ومنه قول الشاعر (٣) :

اللَّهُ يَعْلَمُ أنَا فى تَلَفُّتِنَا   يَوْمَ الفِرَاقِ إلى جيرَانِنَا صُورُ

---

(١) هذا البيت ضمن أبيات لتوبة بن الحميرٌ صاحب ليلى الأخيلية يقول فيها :

وناديتُ ليلى ، والحمول كأنهـــا   موافير نَخْلٍ زعــــزعتها دبورها

فقالت : أرى ألا تفيدك صحبتى   لهيبة أعداءٍ تلـــظى صدُورهـا

فمدت لى الأسباب ....

فلما دخلت الخدر أطت نسوعه   وأطراف عيدان شديد أسورها

مواقير نخل : نخل قد أوقرتها الثمار لثقلها   **الدبور** : ريح تزعزع ماتهب عليه

الأسباب : جمع سبب ، وهو الحبل (حتى يصعد اليها فى خدرها) .

أطت نُسُوعها : الأطيط : صوت االشيء يشدُّ أو يداس عليه . **والنسوع** : جمع يسْع ، وهو سَيْر مضفور تُشدًّ به الرحال .

شديد أسورها : الأسوُر : جمع أَسْر ، وهو العقد القوى (يقصد أن العيدان جديدة شديدة القوى، متينة، فلذلك اشتد أطيطها .

(٢) لم يعرف قائل البيت ، وهو فى معانى الفراء ١ :١٧٤ ، فى اللسان مادة (صير) **والفرع** : الشَّعْر التام الجثل . **وَحْفٌ** : أسود حسن كثير غزيرِ ، **الليت** : صفحة العنق ، وهما ليتان ، **وقنوان** : جمع قِنْو ، وهو عذق النخل بما فيه من الرطب (واستعاره الشاعر هنا لعنااقيد العنب) .

الدوالح : جمع دالح ، وهو فى كل ما مشى بحمل ثقيل مَشْيًا غير منبسط (يقال: بعير دالح وسحاب دالح ، أى ثقيل بطيء المرور) .

(٣) الشعر غير معروف قائله ، وهو فى اللسان مادة (صور) ، وفى الخزانة ١ : ٥٨ وغيرهما وبعد البيت المذكور ، بيت من الشواهد المستفيضة فى كتب النحو ، يقول فيه :

وأنّنى حَوْثُمَا يَثنى الهَوَى بَصَرِى   منْ حَوْثُما سَلَكُوا أَدْنُو فأنظورُ

وفيه بيان أن (حَوْثُ) لغة فى (حيثُ) وقد ذكروا أنّ رجلاً سأل عبد الله بن عمر ﷺ أين أضع يدى فى السجود ؟ قال : ضعهما حوْثُ وقعتا .

وكلمة (صور) جمع (أصور ، صوراء ، صور) مثل (أسود ، سوداء ، سُود) ، ومنه قول الشاعر [(١)] :

عَفائفُ إلا ذَاكَ ، أَوْ أَنْ يَصُورَهَا هَوى ، والهَوَى للعاشقين صَرُوعُ

يعنى بقوله (أو أن يصورها الهوى) : أو أن (يميلها الهوى) .

وقال بعض نحويي الكوفة : إنه لا يعرف الأمر (صِرْ) بكسر الصاد بمعنى الأمر بالتقطيع ، إلا أن يكون مقلوبا من الفعْل (صَرَى) يصرى صَرْيًا) فإن العرب تقول : (باتَ يَصْرى فى حَوْضِهِ) إذا استقى ، ثم قطع واستقى ثانية ، ويكون (صِرْ) بمعنى اقطع ، مقلوب (صرى) فجعلت لام الفعل (حرفه الأخير) مكان عينه (حرفه الأوسط) ، وعينه مكان لامه ، ومنه قولُ الشاعر [(٢)] :

صَرَفْ نَظْرَةً ، لو صَادفَتْ جَوْزَ دَارِعٍ غدَا والعواصى مِنْ دم الخَوْفِ تَنْعَرُ

فقال : (صرَت) أى : قطعت نَظْرَةً .

ومنه قوله الآخر [(٣)] :

يقولون : إنّ الشأمَ يقتُـلُ أَهْلَهَ فَمَنْ لـِــي إذَا لَـمْ آته بخُلُودِ ! !
تَعَرَّبَ آبائي ، فَهَلاَّ صَرَاهُـمُ من المَوْتِ أَن لَمْ يذْهبوا ، وجدودى

(١) الشعر للطِّرمّاح ، وهو فى ديوانه ١٥٢ ضمن أبيات قبله يقول فيها :

إذا ذكـرتْ سلمى له ، فكأنما تغلغلِ طفل فى الفؤاد وجيعُ
وإذْ دهرنا فيـه اغترار ، وطيرنا سواكنُ فى أوكارهن وُقُـوع
قَضَتْ من عيافٍ والطريدةِ حَاجةً فهن إلى لهو الحديث خضوع
عفائف إلا ذاك ....
فآلَيْتُ ألْحَى عَاشقًا ما سَرَى القَطَا وأجْدَرَ مِنْ وادى نطاةَ ولَيع

(٢) قائله غير معروف ، وهو فى اللسان : مادتا (نَعر) و (عَصَا) وفى معانى الفراء ١ : ١٧٤ **جَوْزَ دارع** : جَوْزُ كل شيءٍ : وسطه ، **والدارع** : لابس الدرع ، **والعواصى** : جمع عاص ، يقال : (عِرْق عاص) لا يرقأ ولا ينقطع دمه ، **يَنْعَرُ** : يقال : نَعَر العرق بالدم : إذا فار فورانا لا يرقأ ، كأن له صوتا من شدة خروج الدم منه ، فهو نعَّار ونعور .

(٣) قائلهما غير معروف ، وهما فى معانى القرآن للفراء ١ : ١٧٤ ، وفى معجم ما استعجم : ٧٧٣، وفى اللسان ، مادتا (عرب) (شأم) .

- **وتعرَّب القوم** : أقاموا بالبادية ، ولم يحضروا القُرى ، (يقول : سكن آبائى وجدودى البوادى ، وأقاموا فيها، ولم يحضروا القرى ، فلم يك ذلك نجاةً لهم من الموت .

وللبيت الثانى رواية فى اللسان أخرى (وهى أجود) جاء فيها :

تعرب آبائى فَهَلاّ صراهم من الموت رَمْلاَ : عالج وزَرودِ

ورملا عالج وزرود : موضعان مصحان من أرض العرب .

يعنى بـ (صَرَاهُمْ) : قطعهم .

وأما نحويو البصرة فيرون أن لقول القائل (صُرْتُ الشيء) **معنيان** :

الأول : أملته (من الإمالة) **والثانى** : قطعته ، وحكوا أنه سمع : (صُرنا به الحكم) أى : قطعنا به الحكم .

واستشهدوا على مجيء (صار يصير) أو (صَارَ يَصُور) وهما لغتان ، بمعنى التفريق والتقطيع بقول الشاعر (١) :

وَجَاءت خُلعَةٌ دُهْسٌ صَفايَا يَصُورُ عُنُوقها أَحْوَى زنيم

فقال : (يصور) ، بمعنى يفرق عنوقها ويقطعها .

فتذكر هذا الاختلاف فى الصيغ والدلالات فى كلام العرب ، ونحن نقرأ قول الله تعالى : **﴿ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ﴾** (٢) .

وقد وردت الأخبار تحمل أراء المفسرين فى قوله تعالى **﴿ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ﴾** على أنها بمعان منها : فقطعهن ، ومزقهن ، وشققهن ، واضممهن إليك .

ويرى الطبرى ـ رحمه الله ـ أن معنى الضم فى « الصاد » من قوله : **﴿فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ﴾** والكسر ، سواء بمعنى واحد ـ وأنهما لغتان معناهما فى هذا الموضع : فقطعهن وأن معنى **﴿ إِلَيْكَ ﴾** تقديمها قبل **﴿ فَصُرْهُن ﴾** من أجل أنها صله قوله **﴿فَخُذْ﴾** هذا القول للبصريين ـ عنده ـ أولى بالصواب من قول نَحوى الكوفة .

---

(١) البيت من شعر المعلى بن جمال العيدى ، وله رواية أخرى فى اللسان مادة (زنم)

واءت خُلعَةٌ دُهْسٌ صَفَايا يصوع عنُوقها أحوى زنيــم

يفرق بينها صَدَعٌ رَبَــاعٌ له ظأبٌ كما صَخِبَ القريم

الخلعة (بكسر الخاء وضمها) : خيار المال ، وهو يعنى أن المعزَ التى سيقت إليه كانت كلها خياراً.

والدُّهْس : جمع دهساء ، وهى ـ من المعز ـ السوداء المشربة حمرة .

يصوع : يفرّق (كما أن يصور فى الرواية الأخرى بمعنى : يفرق) .

العُنُوق : جمع عناق ، وهى أنثى المعز .

والأحوى : الذى تضرب حمرته إلى السواد ، يقصد تَيْس المعز ، ويعنى أنه كريم ، **زنيم** : له زنمتان (زائدتان تتعلقان فى رقبة التيس) .

والصدع : الغنى الشاب المدمج الخلْق ، **الرباع** : الداخل فى السنة الرابعة .

والظأب : هياج التيس .

(٢) الآية : (٢٦٠) من سورة البقرة .

-(٢٩)-

اختلف أهل العربية فى نطق اسم اللَّهِ تعالى الدال على أنه سبحانه : القيِّم بحفظ كل شىء ورزقه وتدبيره وتصريفه فيما شاء وأحب من تغيير وتبديل وزيادة ونقص :

فنطقه بعضهم ـ وهم العامة ـ : القيوم
ونطقه أهل الحجاز : القيام
ونطقه البعض : القيّم .

والقيوم ـ إذا كان بمعنى « الله تعالى يقوم بأمر خلقه » فإن وزنه « الفيعول» ، وأصله « القَيْوُوم » غير أن الواو الأولى من « القيووم سبقتها ياء ساكنة ، والواو متحركة ، لذا قلبت الواو الأولى ياءً ، وجعلت هى والياء التى قبلها ياء مشددة ، على سنة العرب فى كل واو متحركة تسبقها ياء ساكنة (لم يُعْرَف مستثنى من ذلك فى كلامهم إلا كلمتان » « حَيْوَة» فكان حقها أن تكون « حيَّة » و « أيوم» فى قولهم : «يوم أيوم » وكان حقها أن تكون « يوم أيَّمْ » .

وأما « القيّام » من «قَام يقوم) فوزنه « الفَيْعَال» وأصله « القيوام» ، وإجراءً للقاعدة ، فقد أبدلت الواو المتحركة المسبوقة بياء ساكنة ياء ، وجعلت مع الياء التى قبلها ياءً مشددة فصارت « القيَّام » .

وأما « القيِّم » ، من (قام يقوم) فوزنه « الفيعل» وأصله « القيْوِم» فأجريت القاعدة على الواو المتحركة المسبوقة بياء ساكنة فقلبت الواو ياء وجعلت مع الياء التى قبلها ياءً مشددة ، فصارت « القيِّم » .

قال الطبرى رحمه الله :

وإنما جاء ذلك بهذه الألفاظ ؛ لأنه قصد به قَصد المبالغة فى المدح ، فكان «القيُّوم » و« القيَّام» و« القيِّم » أبلغ فى المدح من « القائم» (١) .

ونحن نتذكر هذه الصيغ ونرى فى ضوئها اختلاف القراء لاسم الله « القيُّوم» فى قوله تعالى : ﴿ اللَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّوم ﴾ (٢) .

---

(١) الطبرى ـ تفسيره ، مرجع سابق ، م٦ ، ص ١٥٩ .
(٢) الآية (٢) من سورة آل عمران .

حيث قرأها قراء الأمصار : القيوم .

وقرأ عمر بن الخطاب وعبد الله بن مسعود ـ رضى الله عنهما ـ فيما ذكر عنهما : « الحيُّ القيَّامُ وذكر عن علقمة بن قيس أنه كان يقرأ « الحيُّ القيِّمُ » .

وقد ذكر تعليلاً لقراءة عمر وابن مسعود ـ رضى الله عنهما ـ فيما ذكر عنهما : «القيَّام » : أت ذلك الغالب على منطق أهل الحجاز ، فيقولون للرجل الصوّاغ : «الصيّاغ » ، ويقولون للرجل الكثير الدوران : « الديَّار » بدلاً من « الدوّار» [1] .

ـ(٣٠)ـ

خظيت الخيل فى حياة العرب باهتمام كبير ، ولا عجب ، فهى ركابهم فى الحرب والسلم وفيها جمال حين تروح وحين تسرح .

وكثيرًا ما وصفت الخيل « بالتسويم » فيقال : « خيل مُسَوَّمَة » فماذا كان يقصد العربى بوصفها بهذا الوصف ؟

* أكان يقصد أنها المطهمة ، المعلمة ، الرائعة الحسن وعلى هذا ـ إن كان هو المقصود. نفهم قول الشاعر [2] فى وصف الخيل :

بِضُمْرٍ كالقِدَاحِ مُسَوَّماتٍ ... عَلَيْهَا مَعْشَرٌ أشباه جِنّ

---

(١) قيل : إن قول الله تعالى : (رَبِّ لا تذر على الأرض من الكافرين ديَّارًا) أنها « دَوَّار» ، وزن « فعَّال» من (دار ، يدور) ولكنها نزلت بلغة أهل الحجاز ، وأثبتت كذلك فى المصحف الشريف .

(٢) الشعر للنابغة الذبيانى ، فى ديوانه : ٨٦ ، من قصيدة قالها عندما قتلت بنو عبس نضلة الأسدى وقتلت بنو أسد من بنى عبس رجلين ، وأراد عيينة بن حصن معاونة بنى عبس ، وإخراج بنى أسد من حلف ذبيان ، فقال النابغة :

إذا حاولتَ فى أسد فجوراً ... فإنّى لستُ منكَ ولستَ منّى

ثم أثنى على بنى أسد ، وذكر أيامهم فقال :

وقد زحفوا لغسان بزحف ... رحيب السرب أرعن مُرْجَحِنٍّ

بكُلِّ محرَّب كالليث يسمو ... على أوْصَــال ذيالٍ رفـــنٍّ

وضمر كالقداح ....

وقد وصف الخيل بأنها (ضُمْر) ، وهو جمع : ضامر ، وقياس جمعه أن يكون (ضوامر) إلا أن وزن (فاعل) إذا جاء صفة منه ما يجمع على (فُعُل) مثل : بَازل وبُزُل) ثم يخفف فتسكن عينه عند بنى تميم فيقال: (ضُمْر بدلاً من ضُمُر) ، والقداح :جمع قِدْح، وهو السهم إذا قُوِّم ، تشبه به الخيل الضوامر .

وقول الآخر (١) :

وَغداَةَ قاعِ القَرْنَتَيْنِ أَتَيْنَهُمْ ... رُجلاً بَلُوحُ خلاَلَها التَّسْوِيمُ

* أم أن العزبى كان يقصد بقوله : الخيل المسومة أنها الخيل الراعية ، ذهابا رلى قول القائل : « أَسَمْتُ الماشية فأنا أُسِيُها اسامة » إذا قصد أنه رعاها الكلأ والعشب ؟

فإذا كان كذلك ، فهمنا على أساسه قول الشاعر (٢) :

مِثْلَ ابْنِ بَزْعَةَ أو آخَرَ مثله ... أوْلى لَكَ ابْنَ مُسِيمَةَ الأجمالِ

يقصد أن يقول له : يا ابن راعية الجمال

والعرب إذا أرادت القول بأن الماشية هى التى رعتْ قالت : « سامتْ الماشية تسُومُ سَوْمًا ، لذا قيل : « إبل سائمة » بمعنى : راعية ، غير أنه ليس من المستفيض فى كلامهم « سَوَّمْتُ الماشيةُ » بمعنى : أرعيتها ، وإنما يقال إذا أريد ذلك : « أسمتُ الماشية » .

فذكر هذه المعانى والتوجهات ونحن نقرأ قول الله تعالى: ﴿ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ﴾(٣).

وقوله تعالى : ﴿ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ ﴾ (٤) .

ونذكر أن المعنيين السابقين : المطهمة المعلمة الرائعة ، وكذلك : الراعية قد وردا فى الأخبار المنقولة عن المفسرين لقوله تعالى : ﴿ اَلْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ ﴾ ولكن اختيار أنها «المعلمَة » أصح المعنيين .

أما قوله تعالى : ﴿ فِيهِ تُسِيمُونَ ﴾ فهو بمعنى ترعون

---

(١) الشعر للبيد بن ربيعة ، وهو فى ديوانه : ١٦ ضمن أبيات يذكر فيها عِزّه وعزّ قومه :

إنى امرؤٌ منعــت أرومــة عامر ... ضيمى ، وقد جنفت على خصوم
جَهِدُوا العـداوةَ كلَّها فَأَصدّها ... عنى مناكبُ عـزُّها مَعـلُومُ
منهَا :حُوَىٌّ ، والذهابُ ، وقبْلَهُ ... يـوم ببرقةِ رحـرحان كـريم
وغداة قاع القرنتين ....

وحُوَىّ ، الذُهاب ، برقة رحرحان : قاع القرنتين كانت لقومه فيها وقائع حربية انتصروا فيها .

(٢) الشعر للأخطل وهو فى ديوانه : ١٥٩ فى مدح عكرمة الفياض ، وهجاء رجلين آخرين .

وبزعة ، وتكتب فى المصادر الأخرى (بزيعة) : هى الجارية الظريفة المليحة الذكية القلب .

(٣) الآية (١٤) من سورة آل عمران . (٤) الآية (١٠) من سورة النحل .

ـ (٣١) ـ

قد تؤنث العرب اللفظ فيبدو أنه للواحدة وهم يعنون الواحد المذكر من ذلك قول الشاعر :

أَبُوكَ خَلِيفَةٌ وَلَدَتْهُ أُخْرَى وأَنْتَ خَلِيفَةٌ ، ذَاكَ الكَمَالُ

فقال الشاعر : (ولدته أخرى) ، فأنث لمراعاة لفظ (خليفة) وهو مؤنث وكان الصواب أن يقول: (وأنت خليفة ولده آخر) لأن الغاية من المدح فى البيت هو تسلسل الخلافة فى الممدوح .

وقال آخر :

فَمَا تَزْدَرِى مِنْ حَيَّةٍ جَبَلِيَّةٍ سُكَاتٍ إذَا مَا عَضَّ لَيْسَ بِأَدْرَدَا (١)

فقال :(جبلية) فأنث الوصف لتأنيث لفظ الحية، ثم عاد ـ فى آخر البيت ـ فَذَكَّر فقال (إذا ما عضّ) ولم يقل:عَضّتْ، لأنه أراد حيةً ذكرًا، فذهب إلى تذكير المعنى.

وقال آخر (٢) :

تَجُوبُ بِنَا الفَلاَةَ إلى سَعِيدٍ إذَا مَا الشَّاةُ فِى الأرطاةِ قَالاَ

فالشاة فى اللفظ هنا مؤنثة ، لكن الشاعر فى آخر البيت قال: (قالا) ، ولم يقل (قالت) ؛ لأنه قصد مذكرًا هو الثور الوحشى .

ولا يجوز فى لغة العرب اتباع هذا النهج إلا فى الاسم الذى لا يقع عليه (يقصد به) فلان ، أى أن ذلك لا يستعمل إلا فى مثل : الدابة والذرية والخليفة فإذا سميت رجلاً بشىء من ذلك ، فكان فى معنى فلان لم يصح أن نُؤنث الفعل معه ، ولا أن تؤنث صفته ، فتقول ـ مثلا ـ : حدثنا حميد العدوى ، ولا تقول : العدوية ، كما لا يجوز تأنيث الفعل فتقول: حدثتنا ، لأن ذكرك اسم المحدث هو فى معنى فلاة

---

(١) **تزدرى** : تنكر أو تحتقر ، **حية جبلية** : يقال للحية : ابنة الجبل ، لذا أنث فقال: جبلية . **سكات** : لا صوت لها لا يشعر بها الملدوغ حتى تلدغه ، **أدردا** : صفة من الدرد ، وهو ذهاب الأسنان ، والأنثى درداء .

(وهو يصف رجلا داهية) يقول : كيف تستخف به ، وهو حية فاتكة ، لا يشعر بها الملدوغ حتى تعضه بناب لم يسقط ولم يذهب سمه ؟ .

(٢) البيت للفرزدق . **والشاة فى البيت** : الثور الوحشى ، **والأرطاة** : شجرة عظيمة و**(قالا)** : من القيلولة وليس من القول .

وفلاته .

وأما ما قد تراه فى شعرهم من تأنيث الصفة مع المذكر وهو فى معنى فلان ، مثل قول الشاعر [(١)] :

وَعَنْتَرَةُ الفَلْحَاءُ جَاءَ مُلأَّمًا ... كأنّه فِنْدٌ من عَمَايَةَ أَسْوَدْ

فقد قال (عنترة) ثم قال (العلماء) وهى صفة مؤنثة ، وإنما جاز ذلك لأنه وصفه بشفته المشقوقة [(٢)] .

وذكروا أنه سُمِعَ رجل يقول لرجل عظيم العينين : هذا عينان قد جاء ، جعل لفظ عينان وهو مؤنث مثنى كالنعت للرجل المشار إليه بـ (هذا) .

وقال بعض الأعراب لرجل أصابه القَصَمُ [(٣)] : قد جاءتكم القصْماء ، فقال: جاءتكم ، ووصف بالقصماء » فأنث الفعل والصفة ، لأنه أراد سِنّته المكسورة نذكر هذا السِّن من كلام العرب ونحن نقرأ قول الله تعالى :

﴿رَبِّ هَبْ لِي مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً﴾ [(٤)] .

ثم نلحظ :

* أن ذكريا عليه السلام سأل ربه ـ كما جاء فى موضع آخر فى القرآن فقال :

﴿ فَهَبْ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا﴾ [(٥)] فدل على أنه سأل واحدًا .

فهو لم يقل: (أولياء) ، والذرية جَمْع ، وهو قد طلب (الولى) وهو مذكر ، والذرية المقصودة بالدعاء جاءت منعوتة بوصف (مؤنث) : (طيبة) .

ويفهم توجيه كل هذا فى ضوء ما سبق ذكره من سنة العرب فى كلامها :

---

(١) هو شريح بن بجير الثعلبى ، كان وقع بينه وبين بنى فزارة وعبس حرب ، فأعانه قومه ، وقبل البيت المذكور :

ولو أنّ قومى قومُ سُوءٍ أذلّةٌ ... لأخرجَنى عَوْفُ بْنُ عَمْرو وعَصَيْدُ

و(عوف) و(عصيدة) من نزارة ، و(عنترة) من عبس .

جاء ملأما : جاء لابسًا اللأمة ، وهى الدرع ، **والفند** : القطعة العظيمة من الجبل ، **وعماية** : جبل عظيم فى نجد .

(٢) **القصم** : هو تكسر الثنية من النصف ، والواحد أقصم ، والواحدة قصماء .

(٣) إذا كانت المشقوقة هى الشقة السفلى فهى (فلحاء) من الفلح ، فإذا ما كان الشق فى الشفة العليا فهو العلم، وصاحب هذه الشفه (أعلم) .

(٤) الآية(٣٨) من سورة آل عمران . (٥) الآية (٥) من سورة مريم .

- (٣٢) -

إذا أردت أن تُبْلِغَ أحدًا بِشَارَةً ، والبشارة دائما تكون بأمر ساز ، فماذا أنت قائل؟ :

أتقول : (إنى أُبَشِّرُكَ بكذا) بتشديد الشين وكسرها

أم تقول : إنى أَبْشُرُك بكذا) بتخفيف الشين وَضَمِّها ؟

هذا ما تنوع فيه قول العرب :

فَهُمْ يقولون : « بشّرْتَ فلانًا البُشْرَاء بكذا وكذا » يقصدون أن البشارات قد جاءته بذلك .

وبعضهم يقول : بَشَّرْتُ فلانا بكذا) بمعنى سَرَرْتُه وأفرحته .

من ذلك قول بعض العرب :

بَشَرْتُ عِيَالِى إذْ رأيْتُ صَحِيفَةً ... أَتَتْك مِنَ الحجَّاجِ يُتْلَى كِتَابُهَا

وقد قيل : إن (بَشَرْتُ) لغة أهل تهامة من كنانة وغيرهم من قريش وأنهم يقولون : « بَشَرْتُ فلانا بكذا ، فأنا أَبْشُرُه بَشْرًا) ويقولون:(هل أنت باشرٌ بكذا؟)

قال قائلهم [1] :

وَإِذَا رأَيْتَ البَاهِشِين إلى العُلَى ... غُبْرًا أَكُفُّهُمْ بِقَاعٍ مُمْحِلِ

فأَعِنْهُمُ ، وَابْشَرْ بِمَا بَشَرُوا بِه ... وَإِذَا هُمُ نَزَلُوا بِضَنْكٍ فَانزِلِ

فهو يقول:(وابْشَرْ) بصيغة الأمر من (بَشَرَ) ، فكأنهم إذا أرادوا أن يأمروا أحدا

(١) الشعر لعبد قيس بن خفاف البرجمى ، وهو فى الأصمعيات رقم : ٨٧ والمفضليات رقم : ١١٦ والبيتان نصيحة موجهة من الشاعر إلى ابنه -(جبيل) ، وهما من حكيم الشعر .

الباهشين : جمع باهش ، وهو الذى فرح بالشيء فأسرع إليه .

قاع : القاع أرض سهلة مستوية تنفرج عنها الجبال والآكام ، ولا حصى فيها ولا حجارة ولا تنبت الشجر . **ممحل** : مجدب .

يقول لابنه : إذا رأيت الكرام الأشحياء قد أجهدتهم السنة والقحط والجدب حتى اغبرت أيديهم من قلة ما يجدو ، ومن كثره معاونتهم الناس ، فأعنهم .

ابْشَرْ : هى من (بَشِرَ) على وزن (فرح) (يبشَر) ، أى استشعر السرور وافرح تقول : أتانى خبر بشِرْتُ به: أى سررت .

يقول لابنه : شاركهم فرحهم بالسخاء مع ما يلقون من (الجهد . **والضنك** : الضيق .

بإبلاغ بشارة إلى آخر قالوا: (ابْشَرْ فُلاَنًا بِكذا) ولا يكادون يقولون : (بَشّرْ بِكَذَا) ولا (أبْشِرهُ بكذا) .

وقال الشاعر (١) :

يَا بِشْرُ ، حُقّ لِوَجْهِكَ التبشيرُ هَلاّ غضبتَ لَنَا وَأَنْتَ أمير ؟!

يريد بالتبشير هنا الجمال ، والنضرة ، والسرور

يراعى هذا التنوع فى المعانى ، ونحن نقرأ قول الله تعالى : ﴿ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ ﴾ (٢) .

فقد قرأ لفظ البشارة :

* عامة أهل المدينة والبصرة هكذا (يُبَشِّرُكَ) بتشديد (الشين) وضم(الياء) فى أوله ، على معنى : تبشير الله عبده زكريا بالولد .

* وجماعة من قراء الكوفة وغيرهم نطقوا هكذا (يَبْشُرُك) بفتح (الياء) فى أوله، وتخفيف (الشين) (٣) وضمها بمعنى : أن الله يَسُرُّك بولد يهبه لك .

قال الطبرى ـ رحمه الله ـ « والقراءة التى هى القراءة عندنا فى ذلك ، ضم «الياء » ، وتشديد « الشين » ، بمعنى : التبشير ، لأن ذلك هى اللغة السائرة فى الأمصار مجمعون فى قراءة : ﴿ فَبِمَ تُبَشِّرُونَ ﴾؟ (٤) على التشديد ، والصواب فى سائر ما فى القرآن من نظائره أن يكون مثله فى التشديد وضم الياء » (٥) .

ـ(٣٣)ـ

تجعل العربُ من بين أسباب منع صرف الكلمة أن تكون تلك الكلمة معدولة ،

(١) هو جرير بن عطية الغطفى ، والبيت من قصيدته التى قالها لبشر بن مروان ، وكان قد قدم معه العراق سراقةُ الباهلى ، وكان بشر يغرى (يحرش) بين الشعراء ، فحمل سراقة على جرير حتى هجاه ، فترك جريرُ بشراً ، بل مدحه ، وتفرغ لسراقة يهجوه حتى فضحه وعاتب بشرا عتاب من يظهر أنه جاهل بأن بشرا قد أغرى سراقة بهجاء جرير ، وهذا البيت دليل على ذلك التظاهر من جانب جرير بعدم معرفة أمر بشر .

(٢) الآية (٣٩) من سورة آل عمران .

(٣) القراءة بالتخفيف (يَبْشُر على وزن يَنْصَر) قرأها أصحاب عبد الله فى خمسة مواضع من القرآن · فى الآيات : (٣٩ ، ٤٥ من آل عمران) ، (٩ من الإسراء) ، (٢ من سورة الكهف) ، (٢ من سورة مريم) قال الفراء : « والتشديد والتخفيف صواب ، وكأن المشدد على بشارات البشراء ، وكأن التخفيف من وجهة الإفراح والسرور » (معانى القرآن : ٢١٢) .

(٤) الآية (٥٤) من سورة الحجر .

(٥) الطبرى ، تفسيره ، مرجع سابق ، م٦ ، ص ٣٦٩ .

أى أن تكون قد اتخذت صيغة معدولة عن صيغة أخرى فهم قد منعوا صرف (عُمَرُ) للعلمية والعدل ، أى أن اسم (عمر) معدول عن (عامر) ومنع صَرْف (زفر) اسم قبيلة لنفس العلتين : العلمية والعدل قالوا : لأنها معدولة عن (زافر) .

وهم لا يصرفون (أى لا يُنَوِّنون) صيغا من أسماء العدد ، من ذلك « مثنى» لأنها معدولة عن « اثنين» و « ثلاث» ؛ لأنها معدولة عن « ثلاث» ، « رباع » لأنها معدولة عن « أربع » .

ويفعلون الشىء نفسه مع « أحادَ» و« ثناءَ » و « موحد » و « مثنى » و « مثلث» و « مربع » لا يصرفون ذلك كله للعلة المذكورة ، وهى « العدل » .

ومما يدل على أن هذه الأسماء لا تصرف ، وأن المذكر والمؤنث فيها سواء .

* ما جاء فى سورة فاطر ، من قوله تعالى : ﴿ أُولِي أَجْنِحَةٍ مَّثْنَىٰ وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ ﴾ [فاطر: ١] يراد بذلك الجناح ، والجناح مذكر .

* وأن هذه الأسماء لا تضاف إلى ما تضاف إليه الثلاثة والثلاث (كأن تقول: ثلاثة رجالٍ وثلاث نساءٍ فيقع المضاف إليه تمييزاً للعدد) .

* وأن الألف واللام لا تدخل عليها ، فدل ذلك على أنها أسماء للعدد معرفة ولو كانت نكرات لدخلها « الألف واللام » ولقبلت الإضافة كما يضاف الثلاثة والأربعة .

وعلى ذلك جاء قول الشاعر [(١)] : يصف فرسه :

تُرَى النُّعَرَات الزُّرْق تَحْتَ لَبَانه ... أُحَادَ وَمَثْنَى أصْعقتها صَوَاهِلُهُ

والشاعر قد ردَّ « أحادَ ومثنى » على « النعرات » وهى معرفة (وقد تجعل العرب (مثنى وموحد) نكرات فتصرفها ، كما قال الشاعر :

---

(١) هو تميم بن أبى بن مقيل ، والبيت من قصيدة طويلة له ، وبعد البيت :

فَرِيسًا ومَغْشيًا عَلَيْه ، كأنّه ... خَيوطَةُ مَارِي لَوَاهُنَّ كاهلة

والنعرات : جمع نُعْرَة ، وهو ذباب ضخم ، أزرق العينين ، أخضر ، له إبرة فى طرف ذنبه يلسع بها ذوات الحافر فيؤذيها ، وربما دخل أنف الحمار ، فيركب رأسه ، فلا يرده شىء .

اللبان : الصدر من ذى الحافر **أصعقتها** : قتلتها صواهله : وهو مصدر بمعنى الصهيل. فريسا : قتيلا .

خُيُوطة : جمع خيط (مثل فحولة ، وبعولة) **المارىّ** : الثوب الخلق . يصف الذباب كأنه من لينه وتهالكه كأنه خيوط لواها لاوٍ من ثوب خلق .

وإنّ الغُلَامَ المستَهامَ بذكـــره قتلنا به مـن بـين مَثْنَى وَمَوْحَد
بأربعة منكُم ، وآخرَ خَامـس وسَادِ مع الإظلام فى رُمْح مَعْبَدِ (١)

ومما يبين أن « ثناء » و « أحاد » غير مصروفة قول الشاعر (٢) :

وَلَقَدْ قَتَلكُمُ ثُنَاءَ ومَوْحَدَا وتَركْتُ مُرَّةَ مثْل أَمْسِ الدابر

وقول الآخر (٣) :

مَنَتْ لَكَ أَنْ تُلاَقِينى المَنَايَا أُحَادَ أحَادَ فى شَهْرٍ حَلاَلِ

ولم يسمع من العرب « خُمَاسَ » ولا « المخمس » ولا « السُّبَاعَ » ولا « المسبع» إلا فى بيت شعرى جاءت فيه « العشرة » بلفظ « عشار » قال (٤) .

فَلَمْ يَسْتَرِيثُوكَ حَتّ رَمَيْـ ـت فوقَ الرّجال حضَالاً عُشاراَ

---

(١) البيتان فى معانى القرآن للفراء ١ :٢٥٤ .
وقوله فى البيت الثانى (سَاد) أى : سادس ، يقولون: (جاءَ سادسًا ، وساديًا ، وساتًا) .
(٢) هو صخر بن عمرو السلمى أخو الخنساء والشعر فى مجاز القرآن ١ :١١٥ وغيره كثير وبعد البيت المذكور بيت آخر وقد قالهما صخر فى قتله دريد بن حرملة المرىّ ، قال :

ولقد دفعت إلى دريد طعنَة نجلاءَ تزغلُ مثلَ عَطّ المَنْحَر

ـ والطعنة النجلاء : الواسعة . وأزغلت الطعنة بالدم : دفعته زغلةً زغلة أى دفعة دفعة ، وعَطّ الثوبَ عَطًا: شقّه .والمنحر:هو نحر البعير ، أعلى صدره حيث ينحر(يريد أنه طعنه فى نحره طعنة تفجر منها الدم).
(٣) هو عمرو ذى الكلب ، أخو بنى كاهل ، وكان جارًا لهذيل والبيت فى ديوان الهذليين ٣: ١١٧ ومجاز القرآن لأبى عبيدة ١ :١١٥ وغيرهما وكان عمرو قد لقى ذلك الذى صرعه وقال فيه هذا الشعر فى الشهر الحرام ، فلم يستطع أن يرفع إليه سلاحا ، ثم لقيه مرة أخرى فى غير الشهر الحرام فقتله ، فهو يقول له فى البيت المذكور : (قدّرت لك منيتك أن تلقانى فى شهر حلال ، خاليين ، وحدى ووحدك ، فأصرعك لا محالة ، وهو يقول بعد البيت المذكور :

وما لبث القتال إذا التقينا سوَى لَفْت اليمين على الشمال

أى لا يستمر القتال بينى وبينك إلا بمقدار ما ترد اليمين إلى الشمال ، دلالة على سرعه تغلبه علية ، وصَرْعه.
(٤) هو الكميت بن زيد الأسدى من قصيدة يمدح بها أبان بن الوليد بن عبد الملك ، وقبل البيت المذكور:

رَجَوْكَ ، ولم تتــكامل سنُوكَ عشْرًا ، ولا نَبَتَ فيك اتغارًا
لأدنى خسًا أو زكًا من سنِيكَ إلى أربع فبقوك انتظـــارًا
فلم يستريثوك ....

قوله : ولا نبت فيك اتغارًا : أى لم تُخلف سنا بعد سنّ ، فتنبت أسنانك (اتّغر الصبى : سقطت أسنانه وأخلف غيرها) وقوله : خَسًا أو زكا : أى فردًا وزوجًا ، وقوله : فبقوك : يعن انتظروك ورصدوك ، يستريثوا : من استراث بمعنى : استبطأ .
يقول : تبينوا فيك السؤدد لستة أو ستتين من مولدك ، فرجوْ أن تكون سيدًا ، مطاعا ، رفيع الذكر ، فلم تكد تبلغ العشر حتى فاقت خصالك خصال السادة من الرجال .

يريد « عشراً عشرا»

نتابع هذا النهج فى إعراب أسماء العدد ، ونحن نقرأ قول الله تعالى : ﴿جَاعِلِ الْمَلائِكَةِ رُسُلاً أُولِي أَجْنِحَةٍ مَّثْنَىٰ وَثُلاثَ وَرُبَاعَ﴾ (١) .

وقوله تعالى : ﴿فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاءِ مَثْنَىٰ وَثُلاثَ وَرُبَاعَ﴾ (٢) .

ونلحظ أن الآية الأولى جاءت فى ذكر الجناح وهو مذكر ، وأن الآية الثانية جاءت فى ذكر المرأة وهى مؤنث ، وأن لفظ : مثنى وثلاث ورباع فوحد مع المذكر والمؤنث ، وأنه ممنوع من الصرف .

-(٣٤)-

من كلام العرب أن يضمروا (يخفوها من الكلام ويقصدوا معناها) كلمة (مَنْ) فى مبتدأ الكلام ، فيقولون : « منّا يقول ذلك ، ومنا لا يقوله) يريدون : منا (مَنْ) يقول ذلك ، ومنا (مَنْ) لا يقوله .

وقد أجاز ذلك فى كلام العرب أن (مِنْ) بعض لما هى منه ، فلذلك نجدها تؤدى معنى المتروك فى الكلام .

قال الشاعر (٣) :

فَظَلّوا وَمِنْهُمْ دَمْعُهُ سَابِقٌ لَهُ ... وآخَرُ يَثْنِى دَمْعَةَ العَيْنِ بِالهَمْلِ

وهو يعنى : ومنهم (مَنْ) دمعه سابق له ، فاكتفى بـ(مِنْ) التى فى (منهم) للدلالة على (مَنْ) التى لم يذكرها .

ولا يجوز إضمار (حذفها من الكلام مع نيتها فى المعنى) (مَنْ) إلا على النحو الذى سبق بيانه .

---

(١) الآية (١) من سورة فاطر .

(٢) الآية (٣) من سورة النساء.

(٣) الشعر لذى الرمة غيلان بن عقبة وهو فى ديوانه ٤٨٥ ، وقبله .

بكيْت عَلَى ميٍّ بها إذ عرفتـــــها ... وهجتُ الهَوَى حتى بكى القوم من أجلى

فظلوا ومنهم ومعه ....

وهَلْ هَمَلانُ العين راجع ماضى ... من الوجد ، أو مدنيك يامىُّ مــن أهلى ؟

وقوله : يثنى دمعة العين : أى يردّ هملانها (يعنى ومنهم آخر يرد (يمنع) إرسال الدمع منهملا ، ولولا ذلك لسالت دموعه غزاراً .

وقد عرف فى كلامهم إجراء هذا النهج من الكلام فى كلمة (في) قال الشاعر(١):

لَوْ قُلْتَ ما فى قَوْمِهَا لم تأثم　　　بفضلها فى حَسَبٍ وَمِيسَمِ

وهو يريد : (لو قلت ما فى قومها (مَنْ) يفضلها فى حسب وميسم لم تأثم).

وإنما جاز ذلك فى استعمال (فى) لأنك تجد معنى (منْ) موجود فى بعض ما أضيفت إليه ، ألا ترى أن معنى قولك: (فينا صالحون وفينا دون ذلك) هو معنى (منّا صالحون ، ومنا دون ذلك) ؟ ، ولا يجوز أن تقول : (فى الدار يقول ذلك) وأنت تريد (فى الدار من يقول ذلك لأن (الدار) ليست من جنس المتروك (أى المحذوف) وهو (مَنْ) .

والرأى فى المسألة بين أهل العربية :

* أنه لا يكون المضمَر مع (منْ) إلا (مَنْ) أو ما أشبهها [مثل فى كما سبق البيان] وهذا رأى نحويّ الكوفة .

* أن المضمر مع (من) يكون اسمًا ظاهرًا (كالقوم مثلاً) فيكون معنى (ومنهم دمعه) ومنهم قوم دمعهم ، وهذا رأى عامة أهل العربية من البصريين ، وإليه يوجهون قول الشاعر (٢) :

كَأَنَّكَ منْ جمالِ بَنى أُقَيْسٍ　　　يُقَعْقَعُ خَلْفَ رِجْلَيْهِ بِشَنِّ

يلفتنا إلى ما سبق قراءتنا لقوله تعالى :

﴿منَ الَّذينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضعه ﴾ (٣) .

فهل معناه متصل بما قبله : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذينَ أُوتُوا نَصيبًا مِّنَ الْكتَاب يَشْتَرُونَ الضَّلالَةَ وَيُرِيدُونَ أَنْ تَضلُّوا السَّبِيلَ ﴿٤٤﴾ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِأَعْدَائكُمْ وَكَفَىٰ باللَّه وَليًّا وَكَفَىٰ باللَّه نَصيرًا ﴿٤٥﴾ منَ الَّذينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلمَ عَن مَّوَاضعه ﴾ فتكون ﴿ منَ الَّذينَ هَادُوا ﴾ من

---

(١) وهو حكيم بن معية ، وشعره فى الخزانة ٢/٣١١ ، ويروى (لم يَيْثَمَ) بدلا من (تأثم).

(٢) هو النابغة ، والشعر فى ديوانه ٥٨ ، وغيره ، وهو يقوله لعيينة بن حصن الفزارى ، وبنو أقيس : هم بنو أقيس بن منقر بن عبيد ، وقيل : هم فخذ من أشجع وقيل: هم حى من اليمن فى إبلهم نفار شديد . وزعموا أنهم حىٌّ من الجن يقعقع . . . بشن : يحرك بين رجليه قربة من جلد يابس فيسمع لذلك صوت (وهو يصف عيينة بالجبن ، والخور ، وشدة الفزع ، كأنه جمل شديد النفار ، إذا سمع صوت شَنٍّ يقعقع له به .

(٣) الآية (٤٦) من سورة النساء .

صلة (الذين أوتوا الكتاب) فى الآية التى قبلها؟ ، وكأن المعنى: (ألم ترا إلى الذين أوتوا الكتاب من الذين هادوا ؟ وإلى هذا التوجيه السابق ذهب عامة أهل العربية من الكـوفة .

أم أن المعنى على التوجيه الآخر هو : من الذين هادوا (مَنْ) يحرفون الكلم عن مواضعه ، فتكون (مَنْ) محذوفة من الكلام ، اكتفاء بدلالة (مِنَ الذين هادوا عليها)؟

قـال الطبـرى ـ رحمه الله ـ والقول الذى هو أولى بالصواب عندى فى ذلك قول من قال : قوله ﴿ مِنَ الَّذِينَ هَادُوا ﴾ من صلة ﴿ الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ ﴾ ؛ لأن الخبرين جميعا والصفتين من صفة نوع واحد من الناس ، وهم اليهود الذين وصف الله صفتهم فى قول: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ ﴾ ، وبذلك جاء تأويل أهل التأويل ، فلا حاجة بالكلام ـ إذا كان الأمر كذلك ـ إلى أن يكون فيه متروك» (١) .

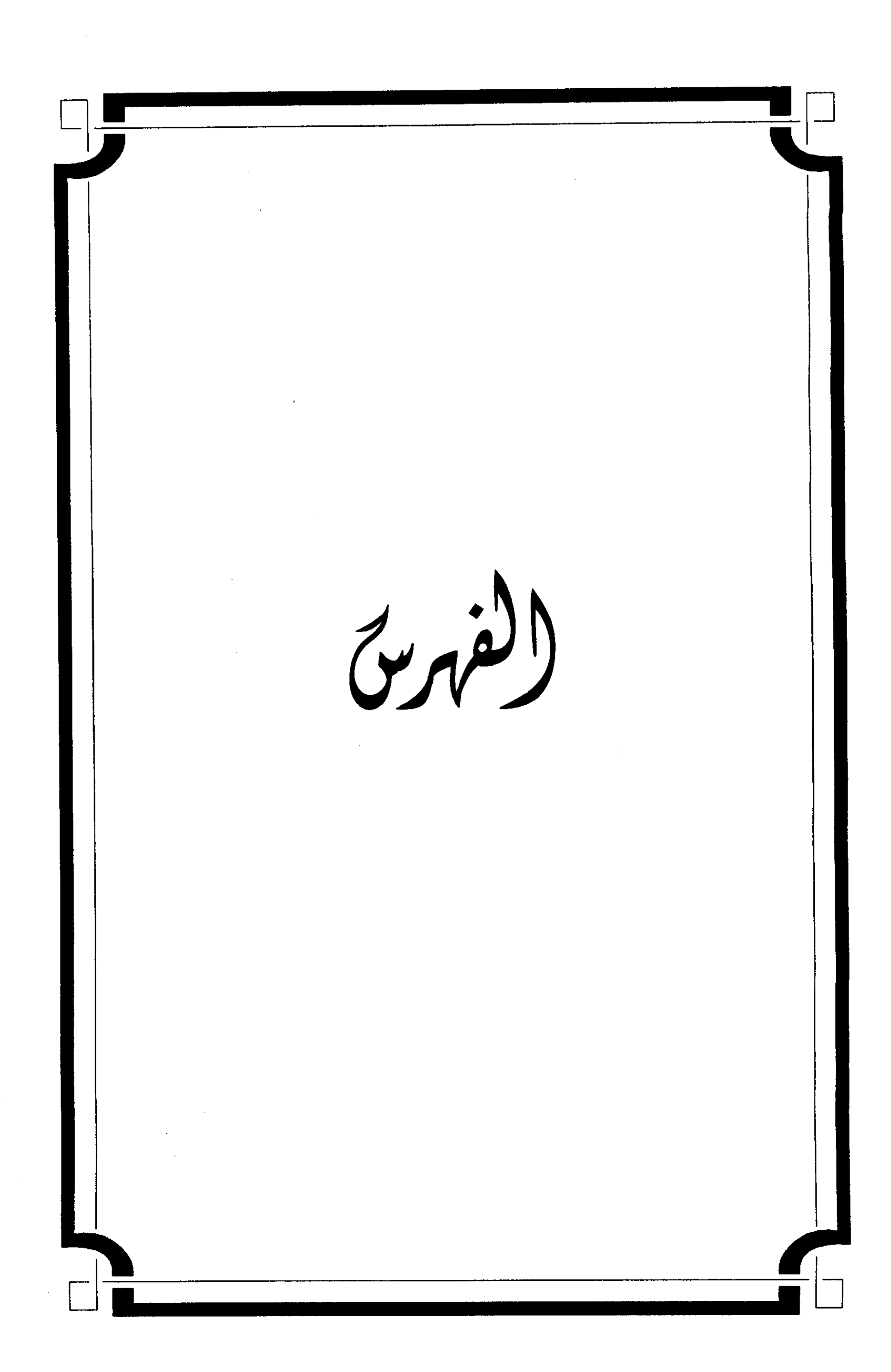
أما الفراء فيقول : إن شئت جعلتها متصلة بقوله ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ ، مِنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ ﴾ . .

وإن شئت كانت منقطعة مستأنفة ، ويكون المعنى : من الذين هادوا مَنْ يحرفون الكلم عن مواضعه ، وذلك من كلام العرب » (٢) .

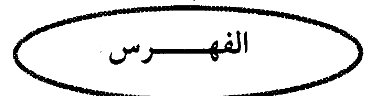
---

(١) الطبرى ، تفسيره ،مرجع سابق ، م٨ ، ص ٤٣٢ .

(٢) الفراء ، معانى القرآن ، مرجع سابق ، جـ١ ، ص٢٧١ .



الفهرس



الفهـــرس

مسلسل	الموضوع	الصفحات
١	موضوع البحث	٥
٢	إخراج المصادر مبهمة على أسماء مختلفة	٩
٣	لفظ الجلاله « الله » وأصله فى لغة العرب	٩
٤	بناء الأسماء من (فعل يفعل) على فعلان	٩
٥	لفظة (رب) واختلاف الدلالات فى لغة العرب	١١
٦	إجراء الحكم الإعرابى على المنوى وإن لم يظهروه	١٤
٧	الحروف المقطعة فى فواتح سور القرآن الكريم	١٧
٨	الاتباع فى اللغة العربية	١٩
٩	الاستغناء عن عائد الصلة لدلالة الكلام عليه	٢٠
١٠	التقارض بين الكلمات وإحلال إحداها مكان الأخرى	٢٢
١١	نسبة الفعل إلى المفعول لفظا	٢٣
١٢	مجيء بعض الكلمات مقصودا بها معانى غيرها	٢٥
١٣	ذكر المفرد وإرادة الجمع وعكسه	٢٦
١٤	جواز الإضافة وحذف النون فى المبنى من يفعل	٣١
١٥	صيغ من الجموع غير الشائعة (غير المتداولة)	٣٣
١٦	الموصول نوعان : خاص وعام	٣٣
١٧	دلالات صيغ الأسماء على الأعمار والأوصاف	٣٦

مسلسل	الموضوع	الصفحات
١٨	أوصاف تشيع ولها دلالات غير شائعة	٣٧
١٩	الاستثناء (بإلا) والمقصود (لكن)	٣٩
٢٠	الإبدال اللغوى فى لغة العرب	٣٩
٢١	الدلالة على معنى الفعل بأكثر من صيغة	٣٩
٢٢	موضع ضمير الفصل فى الكلام العربى	٤٥
٢٣	التعبير بلفظ يدل عن الحاضر والمقصود : الماضى	٤٧
٢٤	بين المصادر والأسماء ، فى صيغة فعلاء	٤٩
٢٥	(ماذا) ووجوه تأويل المراد بها	٥١
٢٦	أنى ، وأين ، وكيف والفروق بين دلالاتها	٥٢
٢٧	(حتى) لا يزال القول فيها متصلا	٥٧
٢٨	(أسهنت عندكم) أم أسنيت عندكم ؟	٥٨
٢٩	بين (صار يصير) و (صار يصور)	٦٢
٣٠	القيُّوم / القيَّام / القيِّم لا إله إلا هو	٦٣
٣١	المسوَّمة : أهى المعلمة أم الراعية ؟	٦٥
٣٢	تأنيث اللفظ للاتباع والمراد مذكر	٦٧
٣٣	بشَّرك الله (أم بَشَرَك) بالخير	٦٨
٣٤	أسماء العدد المعدولة ، ومنع صرفها	٧١
٣٥	حذف (مَنْ) إذا دلت عليها (مِنْ)	٧١
٣٦	الفهرس	٧٥